الفصل السادس

طبيعة الإنسان في التصور الإسلامي

obeikandl.com

مفردات هذا الفصل

حقيقة الإنسان في التصور الإسلامي .

الطبيعة الإنسانية .

بين الطبيعة الإنسانية والفطرة الإنسانية .

مكونات النفس الإنسانية .

علم النفس الإسلامي وعلم النفس الغربي .

الحاجات الإنسانية للتلميذ .

مراحل النمو .

النمو والتعليم .

خصائص التلميذ المسلم في القرآن .

المعايير المستفادة .

obeikandl.com

حقيقة الإنسان في التصور الإسلامي

من أجل الإنسان التقى الملأ الأعلى بعالم الأرضين . ونزلت الكتب . وأعدت الجنان وسعرت النيران . . فما مصدر هذا الإنسان ؟ وما وظيفته في الحياة ؟ وما مركزه في الكون ؟ وما غايته ؟

الإنسان جزء من الكون ، وهو مخلوق من طين الأرض . وفيه نفخة علوية من روح الله . فالإنسان في التصور الإسلامي هو هذان العنصران المختلفان مترابطين ممتزجين في كيان كلي واحد . قال تعالى : ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (الحجر : ٢٩) .

١ - لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها حقيقة الإنسان ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك .

وهذا الإنسان كريم على الله عز وجل قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء : ٧٠) ، " وهو كائن من كائنات الملأ الأعلى . لأن إنسانيته لم تتكون ولم تتشكل إلا بعد أن نفخ الله فيه من روحه . فقد نشأ في الملأ الأعلى ثم هبط على الأرض ."[1] . ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا . فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولايشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (البقرة : ٣٨) ، ويقول الأستاذ سيد قطب : " وهو كائن كريم على الله ذو مركز عظيم في تصميم الوجود - على الرغم من كل مافي طبيعته من استعداد للضعف والخطأ . والقصور والتردي - ولكن استعداده للمعرفة الصاعدة . وحمل أمانة الاهتداء . وللتبعة . يجعله كائنا فريدا يستحق تكريم الله له واختصاصه بمقام الخلافة في الأرض وقبول توبته . كما يستحق تلك العناية الإلهية به بإرسال رسله ورسالاته. وهو أكرم من كل ما هو مادي ، لأن كل ماهو مادي مخلوق له"[2].

٢ - لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم - موضوع الدراسة - على أن يعرف تلاميذها مركز الإنسان في الكون ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك .

وظيفته في الحياة : وقد عقدت له الخلافة في الأرض ليعمرها ويرقيها وفق منهج الله ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (البقرة : ٣٠) . وهو مُعان من الله على القيام بحق الخلافة . فالكون كله مسخر له ﴿ وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾ (الجاثية :١٣) . ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ (لقمان : ٢٠) . وهو أكرم خلق الله على الله . ولذا " فهو كائن يتعامل مع الكون كله ومن فيه ومافيه وهو يتعامل مع ربه . كما يتعامل مع الملأ الأعلى من الملائكة . ومع الجن والشياطين . ومع نفسه واستعداداته المتنوعة . ومع سائر الأحياء الكونية . ومع طاقات الكون الظاهرة والخفية . ومع مادة هذا الكون وأشيائه . . والكون مهيأ للتعامل معه .كما أنه هو مجهز بوسائل التعامل مع الكون .

---

[1] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

[2] سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي ، ط٢ ، دار الشروق ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٦٢ .

ومع رب الكون بما ركب فيه من روح وعقل وحواس وقوى وطاقات تناسب ازدواج عناصر تكوينه"[٣] .

وظيفته في الحياة " والإنسان يكون في أرفع مقاماته وفي خير حالاته حين يحقق مقام العبودية لله إذ إنه – في هذه الحالة – يكون في أقوم حالات فطرته ، وأحسن حالات كماله ، وأصدق حالات وجوده[٤] .

٣ – ولذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ وظيفة الإنسان في الحياة وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك للتلاميذ .

والبشر جميعا من أصل واحد : قال تعالى ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (النساء : ١) .

ولقد خلق الله البشر أمما وقبائل وشعوبا ليتعارفوا ويتعاونوا . لا ليتناحروا ويتنافروا ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات :١٣) .

والعقل الإنساني هو مناط التكليف ، وهو شرف الإنسان وامتيازه ، وقدرة الإنسان على التفكير والاختيار هي التي أهلته لهذا الاستخلاف ،ولحمل مسئولية تنفيذ منهج الله في الأرض . فالعقل هو مناط التكليف والمسئولية .

والعقيدة هي رابطة التجمع الإنساني الرئيسة في نظر الإسلام . وليس الجنس ولا القوم ولا اللغة ولا الأرض ولا اللون ولا الطبقة الاجتماعية أو المصالح السياسية أو الاقتصادية .

وذلك لأن العقيدة مرتبطة بحرية الإنسان واختياره وإرادته ، أما روابط القوم والأرض أواللحم والدم والطين فلا إرادة للإنسان فيها ، فالإنسان ليس حرا في اختيار بلده أو أهله أوقومه ، ولكنه حر تماما في اختيار عقيدته وفكرته ومنهجه ، يقول مدكور : " والإنسان حر لأنه مسئول . فالحرية والمسئولية وجهان لعملة واحدة فالحرية تستلزم المسئولية ، والمسئولية تتطلب الحرية ، وحرية الإنسان ليست حقا من حقوقه ، يمكن أن يمنح له أو يمنع عنه ، وإنما هي فطرة في طبيعته ، وجزء من إنسانيته ، بها يصير إنسانا مسئولا وبدونها يهبط إلى درجات أدنى بكثير من الحيوان ، فهو حر حتى في العقيدة التي يؤمن بها ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (الكهف :٢٩) . ﴿ كل امرىء بما كسب رهين ﴾ (الطور :٢١) ، ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (فاطر :١٨) ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه – عن فطرة الحرية في الطبيعة الإنسانية – عندما قال لولد عمرو بن العاص : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! " (انظر الفصل الخامس من هذا البحث ، ص ٢٤) .

إن الحرية هي من أثمن ما جاء به الإسلام ، فالتوحيد قرين التحرير ، وشهادة " لا إله إلا الله " هي إعلان عن ميلاد الإنسان الحر في هذا الكون الذي يسجد لله وحده ، ويخشى الله وحده ، ومن هذا المنطق فإن الاستبداد يصبح قرين الشرك ، لأنه يجيل الناس عبيدا لآلهة من البشر . ويدفعهم إلى السجود لغير الله ! " وشعور الإنسان بألوهية الله ، وبوجود الله الواحد الأحد ، هو شعور فطري ، مستقر في أساس تكوينه . فالإنسان في تكوينه نفخة من روح

---

[٣] المرجع السابق .

[٤] سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته . الطبعة الشرعية التاسعة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م . دار الشروق ، القاهرة . ١٦ شارع جواد حسني ، ص١٣٢ .

الله . وعلاقته بخالقه . هي علاقة المخلوق بخالقه الرحمن الرحيم . وهي علاقة لا يستطيع أي مخلوق دفعها . أو الحياد عنها[٥] . فشعور الإنسان بوجود الله خالقه هو قانون من قوانين وجوده الروحي . وضرورة من ضروراته التي لا يستطيع أن يتخلى عنها . فحاجة الإنسان إلى الإيمان بالله كحاجته إلى التنفس . وإلى الطعام والشراب والراحة . فإذا كانت حاجاته هذه قانونا من قوانين وجوده المادي . فإن إيمانه بالله الخالق . الرحمن الرحيم . هو قانون من قوانين وجوده الروحي ، وضرورة من ضروراته . . . إذن فشعور الإنسان بوجود الله فطرة في الطبيعة الإنسانية ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها . لاتبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ (الروم : ٣٠) . " فالإيمان بالله ، والشعور بوجود الله ، فطرة مستكنة في الطبيعة الإنسانية . أصلها الروح التي هي جزء في كل تكوينه ، وهي شيء من أمر الله . ولذلك لا غرابة إن نجد الإنسان يلجأ إلى الله حين ييئس من كل الأسباب ، حين يمسه الضر ، وحين ييئس من حوله ومن قوته . ومن حول الناس وقواهم فهذا اللجوء هو هاتف تهتف به الفطرة الإنسانية من جوانب نفسه أن يلجأ الى الله " . قال تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ (الإسراء : ٦٧) . ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان . وظنوا انهم أحيط بهم . دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ (يونس : ٢٢) .

٤ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على ان يعرف تلاميذها غاية الإنسان في الحياة . وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك .

الطبيعة الإنسانية :

إن الإنسان الذي خلقه الله وسخر له " ما في السموات وما في الأرض جميعا " . ذلكم المخلوق الكريم الذي أفسحت له العناية الإلهية في الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين ، والذي سواه رب العزة بقدرته . ونفخ فيه من روحه . وأسجد له الملائكة المكرمين ، . . ما طبيعة ذلك المخلوق العجيب ؟

ان التعرف على طبيعة هذا المخلوق الكريم لما يزل في أول أمره . لأنها لم تنل من الإبصار العلمي ما يجب أن يكون ، ولقد كان لسواها من الأشياء من مثل علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وعلوم الجماد والنبات . . . أكثر وأعظم مما كان للطبيعة الإنسانية . يقول مدكور[٦] : " إن التقدم العلمي الهائل في علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وعلوم الجماد عموماً يتسم بعدة أمور أهمها مايلي :

أنه لايتبع أية خطة معينة ، وأنه يتطور دون إدراك للنتائج المترتبة عليه انسانيا ، وأنه لا يتحرك تبعا للرغبة في تحسين أحوال البشر ، وأنه لا تحكمه قيم من خارجه .

إن هذا التقدم العلمي الهائل في علوم الجماد قد تزامن مع تقدم علمي بطيء . لم يكد يتعدى كثيرا حد الجهل في دراسة علوم الإنسان والطبيعة الإنسانية ، أو العلوم الخيرية عموما . وقد تمخض هذا عن حضارة إنسانية معاصرة ،

---

[٥] حسن البنا : حديث الثلاثاء ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور ، بدون تاريخ ص٤٨ .

[٦] انظر : علي أحمد مدكور ، منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٧

زودت الناس بكل وسائل الحياة الحديثة ، لكنها أهدرت – في نفس الوقت – القيم الخلقية . وأخفقت في النهوض بالمستويات الأدبية والعقلية لعامة الناس وخاصتهم .

فكيف أمكن الحصول على هذه النتيجة المتناقضة ؟

ويجيب عن هذا السؤال " أليكسس كاريل " حيث يقول : " ان الحضارة الحديثة تجد نفسها في موقف صعب : لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس وأوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم . وعلى الرغم من انها انشئت لمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا [٧] . لقد أدى تطبيق الاكتشافات العلمية إلى تغيير العوالم المادية والعقلية بصورة هائلة .

لكن التأثير التعس لهذه التغيرات إنما هو نتيجة لانها نمت وتطورت دون أدنى تفكير في طبيعتنا . "ولقد أهمل تأثير المصانع على الحياة الفسيولوجية والعقلية للعمال إهمالا تاما عند تنظيم الحياة الصناعية اذ ان الصناعة العصرية تنهض على مبدأ : أن الحد الأقصى من الإنتاج بأقل التكاليف . حتى يستطيع فرد أو مجموعة من الأفراد أن تحصل على أكبر مبلغ مستطاع من المال ، وقد اتسع نطاقها دون تفكير في طبيعة البشر الذين يديرون الآلات . ودون أي اعتبار للتأثيرات التي تحدثها طريقة الحياة الصناعية التي يفرضها المصنع على الأفراد وأجسادهم[٨]" .

وصفوة القول : أن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي تعاني منها الإنسانية ، إذ ليس هناك ما يحميها من الظروف العدائية التي شيدها العلم حولنا . وإن العلاج الوحيد لهذا الشر المستطير هو معرفةٌ أكثر عمقا لانفسنا . وبطبيعة الإنسانية وبذلك نتعلم كيف نكيف انفسنا للمتغيرات المناسبة . وكيف نغير الظروف المحيطة بحيث تصبح الحياة حولنا ملائمة لطبيعتنا الإنسانية . وعلى هذا فان هذا الفصل هو رحلة عبر هذا الإنسان ومحاولة لفهم طبيعته الإنسانية من خلال التصور الإسلامي له .

الفطرة الإنسانية :

إن المنهج التربوي يتأثر إلى حد بعيد بنظرة المخططين له ، والقائمين على تنفيذه إلى الفطرة الانسانية . لان المنهج أساس التربية . والتربية هي عملية إيصال المربي إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها ، والإنسان هو محور العملية التربوية . فالعملية التربوية بكل ما تشتمل عليه من أصول تربوية ونظريات ومناهج . وممارسات . ومربين . كلها تعمل وتتفاعل من أجل تهيئة الجو المناسب للمتعلم كي ينمو إلى درجة كماله الإنساني . إذن : فما الفطرة الإنسانية ؟ وما الطبيعة الإنسانية ؟ وهل هما شيء واحد ؟ أوهما شيئان مختلفان ؟ ويجيب عن هذه التساؤلات ما يسجله الباحث تحت العنوان التالي :

بين الفطرة الإنسانية والطبيعة الإنسانية

إن الصلة قوية بين معرفة فطرة المربي وطبيعته وبين المنهج الذي يقدم له ليصل به إلى الكمال الإنساني المرجوّ له . والفطرة الإنسانية في الإسلام يختلف مفهومها عن مفهوم الطبيعة الإنسانية لدى الفلسفات ومدارس علم النفس

---

[٧] أليكس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، تعريب : شفيق أسعد فريد ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٨٦ م ، ص٣٧ .

[٨] المرجع السابق ، ص ٣٨ .

المختلفة ، ففي المعجم الوسيط : طبع الشيء طبعا وطباعة : صاغه في صورة ما . ويقال طبع الله الخلق : أنشأه . وتستخدم بمعنى التأثير على الأشياء . تقول طبع الشيء وعليه : ختم عليه بطابع . والطبيعة السجية . ومزاج الإنسان المركب من الأخلاط . والقوة السارية في الاجسام التي يصل بها الجسم الى كماله الطبعي الذي هياه الله له[9] . فالطبيعة بهذا المعنى هي " مجموعة السجايا التي خلق الله عليها الناس . وفطرهم عليها . والطبع هو الصياغة وإحداث الأثر . فالطبع هو تأثير الأعمال في النفس ، وتأثير الأشياء في الاشياء"[10] . ولايختلف معنى الفطرة في التصور الإسلامي عن معنى الطبيعة ، ففي القاموس . فطر ناب البعير ! أي شق اللحم وطلع . وفطر النبات : اي شق الأرض ونبت منها ، وفطر الأمر : أي ابتدأه واخترعه ، وفطر الله العالم . أي أوجده ابتداء . يقول الحق على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (الأنعام : ٧٩) . والفطرة هي الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه . فالفطرة هي الخلقة السليمة . لم تُسبب بعيب : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ﴾ (الروم : ٣٠) .

يقول مدكور : " فإذا كانت الفطرة في الإسلام هي خلق الله الإنسان على الإسلام . اي شاهدا بعبوديته لله . ومقرا بربوبيته ، فإن الطبع هو صياغة الله للإنسان بمزاج وسجية خاصة . سواء كان ذلك من خلق الله في الإنسان من البداية ، أو بتهيئة الإنسان كي يقوم بذلك في نفسه . أو من خلال البيئة والأشياء المحيطة به . والخصلة النهائية هي أن الطبيعة الإنسانية من خلق الله .

أما الطبيعة في المصطلح الغربي الذي قامت عليه مدارس علم النفس هناك : فهي الاشياء المادية المحسوسة حولنا من جماد وحيوان ونبات ، ففي الاصطلاح اليوناني : " الفيزيقا " هي الطبيعة . و" الميتافيزيقا " ما وراء الطبيعة اي الأمور الغيبية وغير المحسوسة "[11] .

٥ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها معنى الفطرة الإنسانية في التصور الإسلامي ، وأن يقدم المحتوى النصوص الموضحة لذلك .

وكما يقول الدكتور محمد رشاد خليل " فقد أخذت الطبيعة معاني فلسفية لدى فلاسفة الاغريق . وأصبحت هي الأساس في الفكر الغربي الحديث .

فالطبيعة هي الجوهر المادي الأول الذي تصنع منه الأشياء . وهذا الجوهر المادي هو أصل الوجود والعلة الاولى في وجود هذا الكون . وهي عند أفلاطون المثال ، وعلة الوجود . والنفس الكلية . وعند أرسطو هي أصل الأشياء . ومصدر الحركة . والمادة التي تصنع منها الأشياء .

وقد استخدمت الفلسفات الغربية الحديثة مفهوم الطبيعة بهذا المعنى الإغريقي القديم . فالطبيعيون والمثاليون والواقعيون يرون " الطبيعة هي الأشياء وهي القانون الطبعي الذي يعمل في الاشياء . والطبيعة هي اصل

---

[9] المعجم الوسيط : مادة " طبع " .

[10] محمد رشاد خليل :علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دراسة مقارنه ، الكويت ، دارالقلم ،١٩٨٧م ص١٠٣ .

[11] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي : مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

الأشياء"[١٢]، إذن فالطبيعة في الفلسفات الغربية ومدارس علم النفس القائمة عليها ليست من خلق الله. بل هي خالقة الكون، وهي سبب وجوده الأول. وبذلك يتصادم مفهوم الطبيعة في هذه المدارس مع مفهوم الطبيعة في الإسلام.

٦ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة– على أن يعرف تلاميذها المقصود بالطبيعة الإنسانية في التصور الإسلامي، وأن يقدم المحتوى فهم النصوص الموضحة لذلك.

مكونات الإنسان

لقد بين القرآن أن الله خلق الإنسان من طين الأرض. ثم نفخ فيه من روحه. ومن الطين تكون جسد الإنسان ومن النفخ كانت الروح. ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (ص: ٧١:٧٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد. حدثنا عوف. حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك. والخبيث والطيب وبين ذلك" (رواه أبو داود والترمذي)[١٣].

كان هذا بالنسبة لآدم عليه السلام. أما بالنسبة لذريته. فإن الروح تخلق لكل جنين بعد أن يتم تخليق النطفة في الرحم ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاما. فكسونا العظام لحما. ثم أنشأناه خلقا آخر. فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٦).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ أي: ثم نفخنا فيه الروح فتحرك. وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾.

إن نفخ الروح إنما يكون بعد أربعة أشهر من بدء الحمل. قال الإمام أحمد في مسنده. أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أحدكم ليجمع خلقه (نطفة) في بطن أمه أربعين يوما. ثم يكون علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح . . ." إلى آخر الحديث الذي أخرجه الشيخان[١٤]. ففي الإسلام إذن: الإنسان كائن مخلوق لله خلقا مستقلا متميزا منفردا. وهو أكرم خلق الله على الله. وقد نوّه الله بذلك حين جعل الإنسان خليفة في الأرض ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (البقرة: ٣٠).

٧ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف منهج مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ مكونات الإنسان في التصور الإسلامي، وأن يتضمن المحتوى ما يفهم منه التلاميذ ذلك.

---

[١٢] محمد رشاد خليل: مرجع سابق ص ١٠٣.

[١٣] تفسير ابن كثير. ج٣، ص ٢٤٠.

[١٤] المرجع السابق ص ٢٤١.

أما الإنسان عند فرويد وعند الطبعيين عموما فليس هو الانسان المخلوق من الله ، بل هو الحيوان المتطور عن الطبيعة التي هي أصل الأشياء وسبب وجودها . وهذا ما تدعيه نظرية التطور التي لا تعدو -- كما يقول الدكتور محمد رشاد خليل -- : " أن تكون أسطورة يونانية قديمة ، قال بها الطبيعيون اليونان ، وأحياها ملاحدة التطوريين الطبعيين حديثا ، وزينوا لها الأدلة ، أو لووا أعناق بعض النتائج التي أسفرت عنها البحوث الطبعية والحيوية [15] .

اذن فالإنسان هنا ليس مخلوقا لله ، مكونا من جسد وروح ، كما هو الشان في الاسلام ، وانما مرده إلى وحدة الأصل الحيواني للإنسان ، فوحدة الإنسان في علم النفس الحديث ترجع الى كون الانسان قد جاء نتيجة تطور الأحياء من الطبيعة ، وهنا يتصادم الإسلام مرة اخرى مع الفلسفات التي تقوم عليها مدارس علم النفس الحديثة فيما يتصل بمفهوم الإنسان .

ويعبر الكاتب الإسلامي الأستاذ محمد قطب عن طبيعة الإنسان فيقول : " أما عن طبيعة الإنسان فإن التصور الإسلامي لهذه الطبيعة لم يغفل الروح من أجل الطين ولم يغفل الطين من اجل الروح ، بل زاوج بينهما في وحدة متسقة وأعطى الروح حقها والجسد حقه دون إفراط أو تفريط . إن قبضة الطين في الإنسان تمثل فيها عناصر الأرض المادية ورغائب الأرض وضرورتها المتمثلة في الجسد ، ونفخة الروح من الله عز وجل تتجلى فيها اشراقة الروح الصافية ، وقوة الوعي المدركة ، وقدرة النفس المريدة ، وهي المتمثلة في الروح [16] .

ولاشك أن هذا هو المعتقد الصحيح لكل المسلمين الذين يرون هذه الحقيقة واضحة ولا تحتاج الى فلسفة ولا إلى مصدر آخر غير كتاب الله وسنة رسوله ، حيث نقرأ في كتاب الله قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (المؤمنون : ١٢-١٤) . وقوله سبحانه : ﴿ يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا اشدكم . . . ﴾ (الحج : ٥) .

ولقد روى الإمام احمد في مسنده انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " إن احدكم ليجمع خلقه . . . " وقد سبق هذا الحديث بتمامه قريبا .

٨ - لذا ينبغي ان تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الله هو الذي خلقهم وهو خالق كل شيء ، وأن تقدم لهم النصوص القرآنية التي توضح لهم أطوار خلقه سبحانه وتعالى للبشر .

مكونات النفس

والنفس في الإسلام هي جماع شخصية الانسان و" الروح هي أصل النفس وملاتها فالنفس مركبة منها ومن

---

[15] محمد رشاد خليل ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

[16] محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، بيروت ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٤٠٣هـ ص٣٣ .

اتصالها بالبدن[17]" . والنفس واحدة وليست متعددة وإنما لها احوال مختلفة ، يقول مذكور : " والنفس الإنسانية واحدة لاثلاث كما يقول ابن القيم . فقد قسم بعض العلماء النفس إلى : نفس مطمئنة ، ونفس لوامة . ونفس أمارة بالسوء[18]" .

ويؤيد هذا القول محمد رشاد خليل : " والتحقيق انها نفس واحدة لها صفات . وتسمى باعتبار كل صفة باسم . فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته . والإنابة إليه . والنفس اللوامة فهي كثيرة التقلب والتردد وهي من أعظم ايات الله . فهي تتلون وتتقلب بأشكال مختلفة فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض . وتحب وتبغض وتفرح وتحزن . وترضى وتغضب ، وتتقي وتفخر وهي على هذا طوال العمر . اما النفس الأمارة بالسوء فهي تأمر بكل سوء ، وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وأعانها . فما تخلص من شر هذه النفس الا بتوفيق من الله قال تعالى على لسان امرأة العزيز : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ (يوسف : ٥٣) ، وتمتد وحدة النفس في الإسلام لتشمل الإنسان كله بما فيه جسمه وروحه فالنفس في الإسلام هي الإنسان كله ، وبما أن الروح في الإسلام لاتعمل مستقلة عن الجسم رغم ان لها وجودا مستقلا عنه . فهو ليس سجنا لها . فكذلك النفس لاتعمل مستقلة خارج مركب الروح والجسد .

أما في علم النفس الحديث فليس للإنسان نفس مخلوقة . وإنما له نفس طبعية تصنعها الظروف والمؤثرات الخارجية . فالسلوكيون يرون أن النفس تصنعها التربية والمؤثرات الخارجية . والتحليليون وعلى رأسهم فرويد يرون أن النفس بأجزائها الثلاثة عنده وهي : أل(هي) . والأنا والأنا الأعلى . يصنعها الكبت " فالكبت هو النفس بمختلف أجزائها . وعليه فنحن لسنا أمام فلسفة طبعية إلحادية في النفس تقابل الفلسفة المثالية الإلحادية في النفس عند أفلاطون وأرسطو وهي أسوأ منها ، إذ لا تعترف بمصدر للنفس خارج العالم . فليس هناك في هذه الفلسفة اذن روح ولا عقل مخلوق . ولانفس تكونت من الروح والجسد ، وحصلت على صفاتها وأحوالها بالخلق والفطر كما هو الشأن في الإسلام " [19] .

٩ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ مكونات النفس البشرية في التصور الإسلامي . وضرورة أن يقدم لهم مقرر القرآن الكريم ما يوضح لهم ذلك .

علم النفس الإسلامي وعلم النفس الغربي

إن علم النفس الإسلامي يتعامل مع الإنسان المخلوق الذي هو من خلق الله . وعلم النفس الغربي يتعامل مع الإنسان الطبعي الذي جاء نتيجة تطور الأحياء . وعلم النفس الإسلامي يعامل النفس المكونة من مركب الروح والجسد متفاعلين ، لكن علم النفس الحديث يتعامل مع النفس الطبعية التي تصنعها الظروف والمؤثرات الخارجية وبناء على هذا فإن علم النفس الإسلامي يتصادم مع علم النفس الغربي لاختلافهما في المصدر وفي الغاية " وإذا كان

---

[17] تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٦١ .

[18] علي أحمد مذكور : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣٣ .

[19] محمد رشاد خليل " مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

علم النفس الإسلامي العام والتربوي قد جاءا متلازمين من مصدر واحد هو كتاب الله وسنة رسوله ، فإنهما قد جاءا وبينهما فاصل زمني في علم النفس الغربي بسبب اعتماده على تطور الفكر في مصادر شتى ، ونظريات مختلفة ومتناقضة ، وإذا كان علم النفس الإسلامي العام والتربوي قد صدرا من علم شامل محيط بالنفس الانسانية من الأبد إلى الأزل ، لأنه صادر من الخالق الذي يعلم من خلق وما تكون عليه احواله في كل زمان ومكان ، فانه في علم النفس الغربي قد اعتمد على آراء ونظريات شتى ، وهو وإن استعان بالتجريب ، فإن التجريب في العلوم الانسانية يختلف تماما عن التجريب في العلوم الطبعية ، كاختلاف الإنسان عن الجماد والحيوان .

والخلاصة أنه لما كانت التربية هي تطبيق لمفاهيم علم النفس ، فإن التربية في الاسلام تختلف عن التربية في الغرب بقدر الاختلاف بين علم النفس الإسلامي ، وعلم النفس الغربي في حقيقة النفس"[٢٠] .

والفرق واضح وضوح الشمس بين مصدر علم النفس الاسلامي . ومصدر علم النفس غير الإسلامي " الغربي" فمصدر علم النفس الإسلامي هو الذي يقول ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ (النجم : ٣٢) والتعبير بـ " أعلم بكم" يفصل في القضية . ويثبت أنه ومهما تقدم العلم البشري : غربي أو شرقي ، ومهما وصل من المعرفة والاكتشاف في النفس البشرية فإنه محتمل للصواب والخطأ ، ولم يحط علما بكل متطلبات النفس البشرية ، لأن كلمة "أعلم" وإن دلت على الاشتراك بين المفضل والمفضل عليه في العلم الا أنها تثبت الزيادة في العلم للمسند إليه ، وهذا إذا كان في المفاضلة بين من تجوز بينه وبين غيره مفاضلة ، اما وأنها مسندة إلى الله الذي لاتجوز المفاضلة بينه وبين غيره فإن المعنى الذي تحمله وهو العلم المكشوف به لله ما يريده لاتجوز فيه المقارنة بينه وبين العلم المكشوف به لغيره ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى: ١١) .وكذا لم يقل سبحانه : هو أعلم بكم من غيره ، وإنما قال هو أعلم بكم أي هو الأعلم بكم والذي لايشاركه في هذا العلم اي مشارك .

ولذا فالتربية لأبناء الإسلام يجب أن تخطط على ضوء علم النفس الإسلامي ، لأنه هو الذي تصلح به النفس التي سواها ربها ، وألهمها فجورها وتقواها .

وأما علم النفس غير الإسلامي " الغربي " صادر عن نظريات لأناس يتكلمون عن إنسان طبعي لاروح فيه ، ولا يتميز عن بقية الأشياء والأحياء ، فهل يتساوون في تخطيطهم للتربية مع الخبير العليم ، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ؟ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ؟ .

ويقول محمد رشاد خليل في ذلك : " . . . وبمعنى آخر فإن علم النفس التربوي هو تطبيق لنظريات التحليليين والسلوكيين والجشتلطيين وغيرهم من المؤمنين بالمذهب الطبعي على اختلاف أشكالهم . . . وهذه المدارس كلها لاتعرف الإنسان المخلوق ، وإنما تتكلم عن إنسان طبعي لا روح له . ولا يتميز عن بقية الأشياء والأحياء . كما أن هذه المدارس بالتالي لا تعترف بالخالق ولا بإرادته ، ولا بتدبيره ولا بقدرته ، ولا بالعوامل الغيبية التي

---

[٢٠] علي أحمد مدكور : منهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ص ١٣٤-١٣٥ .

يصرف بها العالم "[٢١] .

١٠ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الاساسي في جمهورية مصر العربية على أن العملية التربوية في التصور الإسلامي يجب أن تسير على هدي من علم النفس الإسلامي وأن يزودهم المحتوى بذلك .

أصول التصور الإسلامي للطبيعة الانسانية

إذا كانت التربية عملية متشعبة ، ذات نظم وأساليب متنوعة ، تهدف إلى إيصال المربي إلى مرحلة الكمال التي هيأه الله لها ، فانه لايمكن أن نضع منهج التربية لذلك المربي الا اذا عرفنا طبيعته الكلية والجزئية على حد سواء . حتى لايصمم المنهج لتربية جزء على حساب آخر ، بل يصمم لكل الأجزاء ، حتى يسير الكل " الانسان " بجميع أجزائه في مستوى متكامل متعاضد ، لامفترق ومتناقض .

وتقوم القاعدة النفسية لمنهج التربية في الإسلام على الأصول التالية [٢٢] :

١ – أن الإنسان مفطور على الإيمان بالإله الواحد .

٢ – ازدواج حاجة الإنسان لازدواج طبيعته الإنسانية .

٣ – أن الإنسان خلق باستعدادات متساوية للخير والشر قادرة على الاختيار لأحد .

٤ – أن تبعة أعمال الإنسان ومسئولياته تقع عليه وحده .

وسيفصل الباحث القول في ذلك بعض التفصيل :–

الإنسان مفطور على الإيمان بالله الواحد :

إن الله هو الذي خلق آدم من تراب ونفخ فيه من روحه – بعد تسويته – ثم ركب فيه ما يحتاج إليه من وسائل يستعين بها على تحقيق الحياة المقدرة له ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وامتن عليه كما امتن على أبيه بما يعينه على تحقيق الخلافة والعبادة في الأرض قال تعالى : ﴿ . . . ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ (السجدة : ٦–٩) .

ولكن من تعبد هذه الخليقة ؟ لم تترك هذه الخلائق بدون تعريف بالله الواحد الذي خلقها وسواها ونفخ فيها من روحه ، وإنما عرّفها الله سبحانه وتعالى التعريف الذي أراده وشاءه فقال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ ﴾ (الأعراف : ١٧١–١٧٢) ، وصارت هذه المعرفة فطرة في هذا الإنسان ، وجاء في فتح القدير للشوكاني : " . . . والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم العهد . وهؤلاء هم عالم الذر ، وهذا هو الحق .

---

[٢١] محمد رشاد خليل ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

[٢٢] انظر – علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ص١٣٩ وما بعدها بتصرف .

الذي لاينبغي العدول عنه . ولا المصير الى غيره . لثبوته مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . "[٢٣] .

وهنا تعرض قضية التوحيد من زاوية عميقة كما يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : " وهي زاوية الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات انفسهم وذات تكوينهم . وهم بعدُ في عالم الذر ! . فالاعتراف بربوبية الله فطرة في الكيان البشري . ولقد شهد الكيان البشري على نفسه بهذه الحقيقة . وذلك بحكم وجوده . فوجوده يعني هذه الحقيقة . أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الاولى . فالتوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر . وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى . فلا حجة لهم في نقض الميثاق . لكن رحمة الله اقتضت الا يكلهم إلى أنفسهم : فقد تنحرف الفطرة . والا يكلهم إلى عقولهم : فقد تضل عقولهم . وان يبعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل "[٢٤] . ويفهم كذلك ان الإنسان مفطور على معرفة الله . والإيمان به وانه مستقيم على ذلك ولايخرج عن هذه الاستقامة إلا المنحرفون الذين خلقوا للنار وبعملها يعملون من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ (التين : ٤-٦) .

يقول مذكور في ذلك : " فالحقيقة الرئيسة في هذه الآيات هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها . واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان . والوصول بها إلى كمالها المقدور لها . وهبوط الانسان وسقوله . حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الإيمان"[٢٥] .

ويقول سيد قطب في ذلك : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ فطرة واستعدادا . ﴿ ثم رددناه اسفل سافلين ﴾ حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه . وبينه له . وتركه ليختار أحد الطريقين . ﴿ الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ﴾ فهؤلاء هم الذين يقون على سواء الفطرة . ويتذكرونها بالإيمان . والعمل الصالح . ويرتقون بها إلى الكمال المقدور لها . حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال في دار الكمال[٢٦] . فحقيقة التوحيد يخرج بها كل مولود إلى الوجود . فلا تميل عنها إلا أن يفسد فطرته عامل خارجي عنها . عامل يستغل الاستعداد البشري للهدى والضلال . وهو استعداد كامن تخرجه إلى حيّز الوجود الملابسات والظروف التي ينشأ فيها الإنسان . كما يوضح هذا صراحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة . فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . كما تولد بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء " (رواه البخاري ومسلم) . وورد هذا الحديث في الجامع الصغير للسيوطي بلفظ : " كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه . فابواه يهودانه أو ينصرانه . أو يمجسانه " عن الأسود بن سريع (صح)[٢٧] .

ولذا يقول المرصفي " إن عهد الحق تبارك وتعالى على ذرية آدم قائم . وان حقيقة التوحيد مركوزة في فطرة

---

[٢٣] محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير . جـ ٢ . دار الفكر . بيروت . ١٤٠٩هـ ١٩٨٩ م . ص ٢٦٣ .

[٢٤] سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . جـ ٩ . ص١٣٩٣ .

[٢٥] علي أحمد مذكور : منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق . ص ١٤٠ .

[٢٦] سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . جـ ٦ . ص٣٩٣٢-٣٩٣٣ .

[٢٧] الإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير . الطبعة الأولى بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

الإنسان، يخرج بها كل مولود إلى الوجود، ولايميل عنها إلا من حاد عن الجادة، وانصرف عن سلامة الفطرة [٢٨].

والواقع أن حقيقة التوحيد مركوزة في الكون كله- أصلا - بفرا ذلك في قول الله سبحانه: ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ﴾ (فصلت: ١١)، ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وان من شيء إلا يسبح بحمده. ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ﴾ (الإسراء: ٤٤)، ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس .... ﴾ (الحج: ١٨).

ويقول الدكتور سعد المرصفي في ذلك: " فحقيقة التوحيد ليست مركوزة في فطرة الانسان وحده، ويوما بعد يوم يكشف الإنسان بعضا من ناموس الوحدة في حقيقة الكون والسنن الكونية، ومن ثم فلا يقبل قائل: إنه غفل عن هذا السبب أو غيره؛ فقد قال الله في ختام الآيات: ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ... ﴾، ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ أي إلى فطرتهم وعهدهم إلى الله، ولعلهم يرجعون إلى ما أودعه الخالق جل شأنه كينونتهم من قوى البصيرة والإدراك فيدركون حقيقة عهد الله بقدر ما يدركون الصراع بين الإيمان والكفر وأنه لايكون إلا حين تختل الموازين، وتنطمس البصائر. لدى الهاربين من تبعات العهد، والفطرة الشاردين في متاهات الجحود والشك، التائهين في ضلالات الوهم والخرافة. فهل من مدكر؟"[٢٩].

١١ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الله الذي خلقهم قد فطرهم على الإيمان بالله وحده وأخذ عليهم العهد بذلك. وضرورة تقديم النصوص القرانية التي توضح لهم هذا المضمون.

ازدواج حاجة الإنسان لازدواج طبيعته الإنسانية

الطبيعة الإنسانية في الإسلام طبيعة مزدوجة. فالإنسان مكون من جسم وروح. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك صراحة، في قوله تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (ص: ٧١-٧٢).

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير هذه الآية: " لقد خلق الله هذا الكائن البشري من الطين كما أن سائر الأحياء في الأرض خلقت من طين، فمن الطين كل عناصرها، فيما عدا سر الحياة . . . ومن الطين كل عناصر ذلك الكائن البشري فيما عدا ذلك السر، وفيما عدا تلك النفخة العلوية التي جعلت منه انسانا . . . فهو من أمه الأرض، ومن عناصرها تكون، وهو يستحيل إلى تلك العناصر حينما يفارقه ذلك السر الالهي المجهول وتفارقه معه آثار تلك النفخة العلوية . . . .

" ونحن نجهل كنه هذه النفخة، لكننا نعرف آثارها، فآثارها هي التي ميزت هذا الكائن الإنساني عن سائر الخلائق في هذه الأرض، ميزته بخاصية القابلية للرقي العقلي والروحي. هي التي جعلت عقله ينظر إلى تجارب الماضي

---

[٢٨] سعد المرصفي: الحياة في رحاب الإيمان (١)، معالم في السلوك الإسلامي، شركة الشعاع، الكويت ١٤٠١-١٩٨١م، ص ٢٨.

[٢٩] المرجع السابق.

،ويصمم خطط المستقبل ،وجعلت روحه يتجاوز المدرك بالحواس والمدرك بالعقول ليتصل بالمجهول للحواس والعقول .

"وخاصية الارتقاء العقلي والروحي خاصية إنسانية بحتة . لايشاركه فيها سائر الأحياء في هذه الأرض . وقد عاصرت مولد الانسان الأول اجناس . وانواع شتى من الأحياء . ولم يقع في هذا التاريخ الطويل أن ارتقى نوع أو جنس – ولا أحد أفراده – عقلا أو روحا ، حتى مع التسليم بوقوع الارتقاء العضوي .

لقد نفخ الله من روحه في هذا الكائن البشري ، لأن إرادته اقتضت ان يكون خليفة في الأرض ، وان يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها له ،حدود العمارة ومقتضياتها من قوى وطاقات .

لقد أودعه القدرة على الارتقاء في المعرفة ، ومن يومها وهو يرتقي كلما اتصل بمصدر تلك النفخة ، واستمد من هذا المصدر في استقامة . فأما حين ينحرف عن ذلك المصدر العلوي فسان تيارات المعرفة في كيانه وفي حياته لا تتناسق ، ولا تتجه الاتجاه المتكامل المتناسق المتجه إلى الأمام ، وتصبح هذه التيارات المتعارضة خطرا على سلامة اتجاهه ، إن لم تقده إلى نكسة في خصائصه الإنسانية ، تهبط في سلم الارتقاء الحقيقي . ولو تضخمت علومه وتجاربه في جانب من جوانب الحياة "[30] .

ومقتضى تكوين الإنسان من مادة وروح أنه يلبي حاجات كل من المادة فيه والروح كذلك ولكن على هدى الإسلام الحنيف . قال تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك . ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين ﴾ (القصص :٧٧) .

تقول بنت الشاطئ[31] : " رسوخ فهمنا لشريعتنا السوية ، يجلو موقفنا بين المادية والروحية ، تصحيحا لما شاع فينا من أن الإسلام يريد للمؤمنين أن يقهروا بشريتهم المادية . ويروضهم على التجرد الروحي والزهد فيما تتعلق به فطرة الناس من متع الحياة الدنيا ، والطيبات من الرزق : من هدي القرآن والسنة أتعلّم أن الاسلام لا يشق على أمته بهذا التجرد الصارم ويتحدى طبيعة البشر فينا ، والزهد المنقطع يعزل الأمة عن صراع الوجود والبقاء ، وأول ما يتقرر من ذلك ابطال الإسلام للرهبانية التي عزلت الدين عن الحياة . . . . الإسلام ابطل هذه الرهبانية كما أسقط عنا إصر الكهنوتية والأغلال ، والتفت إلى حاجة البشرية فينا ، فلم يفرض على رسوله وامته الزهد في زينة الدنيا الحلال بل أمره أن يبتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة ، ولاينسى نصيبه من الدنيا . الاسلام عدو الترف والسرف والبطر والخيلاء ، وقد أعطى أمته العبرة بمصائر أمم قبلها افسدها الترف ، وكله فيها ذريعة فسق وفجور ، وضلال وهلاك . [32] وتكرر في القرآن التنبيه إلى أن متاع الدنيا عرض زائل ، كما لغرورنا بها ، وتوجيها إلى ما هو خير وأبقى من زاد الايمان والتقوى والعمل الصالح ﴿ كل نفس ذائقة الموت . وإنما توفون أجوركم يوم القيامة . فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (آل عمران : ١٨٥) . ﴿ اعلموا انما

---

[30] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، جـ٢٣ ، ص٣٠٢٧ .

[31] انظر : دكتورة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – الشخصية الإسلامية – دراسة قرآنية – دار العلم للملايين ، بيروت . طبعة خاصة : المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ، المكتبات المدرسية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م . ص ٦٩ وما بعدها بتصرف .

[32] انظر آيات : سبأ ، ٣٤ ، الإسراء ، ١٦ ، الأنبياء ، ٩–١٣ ، المؤمنون ، ٦٤ ، الواقعة : ٤٥ .

الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما . وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (الحديد : ٢٠) ، وإذ يحمينا الإسلام من مغراوة الشرد وعبودية الشهوات . ووثنية المادية . يوسع علينا فيما أحل الله لنا من طيبات الدنيا وزينتها الحلال : ﴿ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ (الأعراف : ٣٢-٣٣) .

١٢ - ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن التربية في التصور الإسلامي تشمل كل متطلبات الروح والجسد ، وأن يوضح لهم ذلك من خلال مقرر القرآن الكريم عليهم .

خلق الإنسان باستعدادات متساوية للخير والشر قادرة على الاختيار الحر

لقد خلق الله الإنسان مفطورا على الإيمان وحب الخير . لكنه خلقه - في نفس الوقت - مزودا باستعدادات متساوية للخير والشر ، كما خلقه بقدرات كامنة منه قادرة على توجيهه إلى الخير وإلى الشر سواء ، وجعل تبعة أعماله ومسئولياته تقع عليه وحده . ولقد أكد القرآن الكريم هذه القواعد في كثير من الآيات : ﴿ ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ﴾ (البلد : ٨-١٠) . ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ (الإنسان : ١-٣) ، ﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس : ٧-١٠) ، يقول الأستاذ سيد قطب في تفسير الآيات الثلاث الأولى : ﴿ ألم نجعل له عينين ؟ ولسانا وشفتين ؟ وهديناه النجدين ؟ ﴾ " إن الإنسان يغترُّ بقوته ، والله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة . ويضن بهذا المال ، والله هو المنعم عليه بهذا المال . ولا يهتدي ولا يشكر وقد جعل له من الحواس ما يهديه في عالم المحسوسات : جعل له عينين على هذا القدر من الدقة في تركيبهما وفي قدرتهما على الإبصار . ومميزه بالنطق وأعطاه أداته المحكمة : ﴿ ولسانا وشفتين ﴾ . . . ثم أودع نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ . . . . ليختار أيهما شاء . ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين . والنجد الطريق المرتفع . وقد اقتضت مشيئة الله أن تمنحه القدرة على سلوك أيهما شاء ، وأن تخلق بهذا الازدواج طبقا لحكمة الله في الخلق . وإعطاء كل شيء خلقه ، وتيسيره لوظيفته في هذا الوجود "[٣٣] ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ " هذا الاستفهام في مطلع السورة إنما هو للتقرير . ولكن وروده في هذه الصيغة كأنما ليسأل الانسان نفسه : ألا يعرف أنه أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ . ثم ألا يتدبر هذه

---

٣٣ - سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سبق ، جـ ٦ ، ص ٣٥١٢-٣٥١٣ .

الحقيقة ويتملاّها ؟ ثم ألا يفعل تدبرها في نفسه شيئا من الشعور باليد التي دفعته إلى مسرح الحياة ، وسلطت عليه النور ، وجعلته شيئا مذكورا ، بعد أن لم يكن شيئا مذكورا ؟ . . . والانسان مخلوق مغرور في نفسه وفي قيمته ، حتى لينسى أن هذا الكون كان وعاش قبل أن يوجد بادهار وأزمان طوال . ولعل الكون لم يكن بتوقع مخلوق شيء يسمى " الانسان " حتى انبثق هذا الخلق من إرادة الله فكان ! . اما امتداد هذا الانسان بعد ذلك وبقاؤه ، فكانت له قصة أخرى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ (والامشاج : الاخلاط ، وربما كانت هذه إشارة إلى تكوين النطفة من خلية الذكر وبيضة الانثى بعد التلقيح ، وربما كانت هذه الاخلاط تعني الوراثات الكامنة في النطفة ، والتي يمثلها ما يسمونه علميا " الجينات " وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولا ، ولصفات الجنين العائلية ثانيا ، وإليها يعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكوين جنين انسان لا جنين أيّ حيوان آخر ، كما تعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الاسرة . . .

" خلقته يد القدر هكذا من نطفة أمشاج ، لا عبثا ولا جزافا ولا تسلية ، ولكن خُلق ليبتلى ويمتحن ويختبر ، والله سبحانه يعلم من هو ، وما اختياره ، وما ثمرة اختياره ، ولكن المراد أن يظهر ذلك على مسرح الوجود ، وأن تترتب عليه آثاره المقدرة في كيان الوجود ، وأن تتبعه آثاره المقدرة ، ويجري وفق ما يظهر من نتائج ابتلائه ، ومن ثم جعله سميعا بصيرا ، أي زوده بوسائل الإدراك والمعرفة ، ليستطيع التلقي والاستجابة ، وليدرك الأشياء والقيم ويحكم عليها ويختار ، ويجتاز الابتلاء وفق ما يختار . .[٣٤] . ثم زوده إلى جانب المعرفة ، بالقدرة على اختيار الطريق ، وبين له الطريق الواصل ، ثم تركه ليختاره ، أو ليضل ويشرد وراء طرق لا تؤدي إلى الله : ﴿ إنا هديناه السبيل : إما شاكرا وإما كفورا ﴾ . . . وعبر عن الهدى بالشكر ، لأن الشكر أقرب خاطر يرد على قلب المهتدي ، بعد أن يعلم أنه لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد ربه له أن يكون شيئا مذكورا ، ووهب له السمع والبصر ، وزوده بالقدرة على المعرفة ، ثم هداه السبيل ، وتركه يختار . . . . الشكر هو الخاطر الأول الذي يرد على القلب المؤمن في هذه المناسبة فإذا لم يشكر فهو الكفور . . . .[٣٥] .

ثم يلخص لنا الأستاذ سيد قطب كل ما سبق – في سياق تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس : ٧–١٠) – فيقول : وهذه الآيات الأربع بالإضافة إلى آية سورة البلد السابقة : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ . . . وآية سورة الإنسان : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ . . . تمثل القاعدة النفسية للإسلام . وهي مرتبطة ومكملة للآيات التي يشير اليها ازدواج الإنسان . كقوله تعالى في سورة "ص" ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ، كما أنها مرتبطة ومكملة للآيات التي تقرر التبعة الفردية : كقوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ . . . والآيات التي تقرر ان الله يرتب تصرفه بالانسان على واقع هذا الإنسان . كقوله تعالى في سورة الرعد : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

---

[٣٤] المرجع السابق ، جـ ٢٩ ، صـ ٣٧٧٩ – ٣٧٨٠ .

[٣٥] المرجع السابق ، ص ٣٧٨٠ .

ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها . . . . " إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد ، مزدوج الاتجاه ، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال . فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر . كما انه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، ويعبر عنها بالهداية تارة أخرى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ . . . . فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد . . . . والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات ، وتشحذها وتوجهها هنا وهناك .

" وهناك إلى جانب الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان ، هي التي تناط بها التبعة ،فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها ، وتغليبه على استعداد الشر ... فقد أفلح ، ومن أظلم هذه القوة وخباها وأضعفها فقد خاب : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾[٣٦] .

على أن المولى عز وجل – تودد إلى هذا الإنسان ، فقدم إليه خالص النصح ، وعظيم الإرشاد بالدعوة إلى تزكية النفس ، والإقدام على صالح العمل . فقال :﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ (الحج :٧٧، ٧٨) .

وتزكية النفس لا يكفي فيها تصديق بلا عمل ، ولا حسن ظن بدون كدح وكفاح ؛ قال تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (التوبة :١٠٥) ، ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ﴾ (النساء :٩٥) .

وحين أمر الله الإنسان بالعمل ، سخر له الكون وجعله مجالا للعمل فقال سبحانه : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾ (الجاثية :١٣) ، وأعطاه في ذاته مقومات العمل فقال سبحانه : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتهم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل : ٧٨) . وأعطاه رأس مال العمل . فقال سبحانه : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ (إبراهيم : ٣٢-٣٤) وعلم الله الإنسان ما لم يكن يعلم : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ (النساء : ١١٣) .

وإن كان الخطاب في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن الرسول علم الأمة من خلال تعليم الله له

---

[٣٦] انظر المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٥١٧ – ٣٥١٨ .

﴿هوالذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ .

ولذا سيسأل الله الناس عن العمل ﴿ فوربك لنسالنهم اجمعين . عما كانوا يعملون ﴾ (الحجر : ٩٢-٩٣) وسيسألهم عن مقومات العمل وأجهزته الممنوحة من الله لهم ﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾ (الإسراء : ٣٦) ، وسيسألهم كذلك عن النعيم الذي اسداه اليهم ﴿ثم لتسالن يومئذ عن النعيم﴾ (التكاثر : ٨) .

١٣ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي على ان يعرف التلاميذ كيفية الاستفادة من الاستعداد الخير المركوز في فطرتهم ، والابتعاد عن الشر ، وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

تبعة أعمال الإنسان تقع عليه وحده :

الله الذي أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى . اختار الإنسان للخلافة في الأرض . واستعمره فيها . وحمل الإنسان الأمانة ، وزوده الله بالفطرة القابلة للنمو : خيرا أو شرا ، ومنحه حرية التفكير والاختيار بين البدائل . وهيأ له الكون ليحقق المراد من إيجاده ، وأعانه بالرسول والرسالة . وجعل التبعة مترتبة على منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه ، توجيه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو في حقل الخير وفي حقل الشر سواء .

فهي حرية تقابلها تبعة ، وقدرة يقابلها تكليف ، ومنحة يقابلها واجب . . . .

ورحمة من الله بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي ، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف ، فاعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة ، وتكشف له عن مرجحات الإيمان ، ودلائل الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله . . . . . وبذلك يتضح له الطريق وضوحا كاشفا لا غش فيه ولا شبهة ، فتتصرف القوة الواعية حينئذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة الاتجاه وتسير فيه ، وهذه في جملتها هي مشيئة الله بالإنسان . وكل ما يتم في دائرتها فهو محقق لمشيئة الله وقدره العام[٣٧] .

ولما كانت أعمال الإنسان تصدر منه بدافع من فطرته ، أو بتفكير من عقله ، والشيطان له قرين ، فقد يبعده عن الفطرة الخيرة فيه ، فيغويه ويضله ، وكذلك قد لا يصل بعقله إلى ما فيه الصواب ، اذ العقول متفاوتة ، ولما كان الأمر كذلك أدركته رحمة الله بالرسالة والرسول ، ولذا قال الله سبحانه وتعالى في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء : ١٠٧) وأمره الله – سبحانه – ان يامر الناس باطاعة الله واطاعته ، فإن استجابوا لذلك اهتدوا ، والا فعليهم حمل اوزارهم كاملة يوم القيامة ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ما حمل ، وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (النور : ٥٤) .

والرسالة ما نزلت إلا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ (إبراهيم : ١) ، ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (البقرة : ٢) .

---

٣٧ على أحمد بدكور ، منهج التربية في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

ومع أن الرسول حق ويهدي إلى الحق . . . إلا انه للبيان والارشاد والتوضيح . لأنه لا يملك لأحد نفعا أو ضرا ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرًا الا ما شاء الله﴾ (الأعراف : ١٨٨) . ولايملك لغيره كذلك شيئا لم يقع في مشيئة الله ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص : ٥٦) .

والقرآن كذلك هدايته موقوفة على مشيئة الله وإذنه ﴿ كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ﴾ (ابراهيم : ١) ، ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا . . . ﴾ (الشورى : ٥٢) وذلك كله ليعلم الإنسان ان أمره إلى الله وحده ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ (الشورى : ٥٣) ، ﴿ . . لله الأمر من قبل ومن بعد . . ﴾ (الروم : ٤) ﴿ . . يدبر الأمر ﴾ (يونس : ٣) ، وحتى نحن البشر لا تتحقق مشيئتنا الا أن يشاء الله لنا ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ (الإنسان : ٣٠) ، ﴿ ذلك لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما ﴾ (الطلاق : ١٢) .

ومع أن الأمر كله لله ، فالله لا يظلم الناس شيئا . ولكنه يعفو لهم عن كثير : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ (النساء ٤٥) . ﴿ وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ (الشورى : ٣٠) .

فتبعة أعمال الإنسان تقع عليه وحده . لأنه أهل بالفطرة والعقل والرسالة والرسول ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر : ٣٨) ، ﴿ ألا تزر وازرة وزر اخرى . وأن ليس للإنسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ (النجم : ٣٨-٤٠) ، ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) ، ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها . . . ﴾ (الأنعام : ١٦٤) ، ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم . . . ﴾ (غافر : ١٧) .

١٤-لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على ان يعرف التلاميذ ان تبعة أعمالهم تقع عليهم وحدهم ، وذلك من خلال النصوص القرآنية التي تقرر عليهم وتؤكد لديهم هذا المفهوم .

مدرسة الإسلام

وإذ تحدث الباحث عن دوافع السلوك . ونظرية الغرائز ورأي مكدوجل فيها وأنها -- عنده- هي المحرك الأول لكل نشاط ، وهي التي تزود الإنسان بالقوة وتحدد غايات سلوكه ، وكيف هجم عليه السلوكيون هجوما أدى إلى اختفاء الغرائز من كتب علم النفس الغربي تقريبا فإنه يوضح موقف المدرسة الإسلامية من ذلك .

" في علم النفس الإسلامي هناك عوامل غيبية ، وهناك عوامل مشهورة . كلها تعمل كدوافع للسلوك . وإذا أخذنا التقسيم المشهور للدوافع إلى دوافع غرزية ، ودوافع مكتسبة ، ودوافع غير شعورية . فاننا نجد ما يلي :

أولا : بالنسبة للدوافع الغرزية فإن مدرسة الغرائز وإن كانت قد اتفقت مع الإسلام في أنها فطرية وموروثة إلا أنها لم تقل بأن الله غرزها في النفس الإنسانية ، وإنما هي مغروزة في الإنسان بحكم الطبيعة . وهذا إلحاد صريح . لكن الإسلام يقول : إن الله قد أودعها في خلق النفس وفطرتها ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح

من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس :٧-١٠) .

ثانيا : بالنسبة للدوافع المكتسبة ، فإن الإسلام يفرق بين العواطف والميول مثل الحب والكرم والرضا والسخط . . الخ ، فكل هذه غرائز فطرية خلقها الله في الإنسان ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الروم : ٢١) ، ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ (آل عمران : ١٤) ، وهكذا ، فالعواطف والميول خلقها الله في النفس ، لكن توجيهها إلى أشخاص أو أشياء بعينها هو المكتسب ، فالإنسان مفطور على الحب ، لكن ليست قد توجهه إلى حب الله ورسوله ، وقد توجهه إلى حب صنم أو دجال أو فنان . . الخ .

ثالثا : يطلق على الدوافع غير الشعورية عموما بأنها الدوافع التي لا يشعر الفرد بها أثناء قيامه بالسلوك مثل الحاجات النفسية والاتجاهات النفسية ، والعادات القوية ، ومستوى الطموح ، بالإضافة إلى الدوافع المكبوتة وهي التي يشعر الفرد بوجودها ولا يعترف بها لنفسه ، مثل عقدة النقص لأدلر وهي من أقوى دوافع السيطرة ، مثل عقدتي أوديب وإلكترا . . إلخ[٣٨]" .

ويرى الدكتور محمد رشاد خليل أنه لايوجد " لاشعور " في الإسلام ، وإنما هناك جانب مغيب من النفس ، وهو الجانب الذي لانعرف عنه إلا القليل – لان النفس أصلها الروح ، وهي علمها عند الله– وقد بين الإسلام أن النفس تتأثر بالمؤثرات الخارجية ، وأن الأحداث تترك أثرها في النفس ، وأن هذا الأثر قد يكون حميدا أو سيئا ، وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا حسية لهذا الأثر بالنكتة البيضاء والنكتة السوداء ، كما ضرب لنا المثل في حديث القلوب الثلاثة والتي هي الأحوال الثلاثة للنفس ، فالقلوب قرض ويكون من أمراضها الكره والحقد والغيرة والحسد والقلق والاكتئاب ، كما أنها تصح ومن علامات صحتها حب الخير ، والإيثار ، والاطمئنان والرضا ، وأساس ذلك كله أن الله قد ابتلى الإنسان بالخير والشر فتنة ﴿ ونبلوكم بالخير والشر فتنة ﴾ (الأنبياء :٣٥) وأنه أمد الإنسان بأسباب هذا وذاك ، فمن سلك طريق الخير صحت نفسه ، ومن سلك طريق الشر مرضت نفسه .

وعلى هذا فليس في الإسلام ما يسمى " باللاشعور" وليس هناك ما يسمى " بالعقد المكبوتة " وإنما هي أمراض تغلب على النفس من أحوال الشر التي تصيبها ، وأنه يستعان عليها بالأدوية التي وصفها الإسلام لعلاج النفوس والقلوب كما يقول ابن تيمية في الحسد والغيرة وغيرهما[٣٩] .

١٥ – لذا ينبغي أن تنص أهداف المرحلة – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ أن أمراض القلوب والنفوس إنما تعالج باتباع هدي الله ورسوله . وضرورة ان يقدم اليهم مختارات النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

ضبط الدوافع لاكتبها :

---

[٣٨] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي . مرجع سابق ، ص١٥٧-١٥٨ .

[٣٩] المرجع السابق .

وضبط الدوافع في الإسلام موكول إلى النفس البشرية ذات الإرادة القوية والعزيمة الصادقة ، والعقل السليم . وليس في الإسلام كبت للدوافع ، ولا انفلات لها وإنما تنظيم وتهذيب وترويض . ولذا يقول مدكور [٤٠] : " ليس الضبط في الإسلام هو الكبت لدى مدرسة التحليل النفسي . وانما الضبط هو عملية نفسية عقلية وإدارية . وليس مجرد عملية بيولوجية شعورية أو غير شعورية . فنصر الضبط على الجانب البيولوجي يعني قصر الضبط على الجسم وحده . في حين أن الأصول الصريحة تدل على أن الضبط هو وظيفة النفس التي هي جماع الشخصية الإنسان بما في ذلك عقله وإرادته ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ .

ويشبه ابن القيم ضبط الدوافع الفطرية بالنهر الذي يهدد حياة قرية مجاورة . وتختلف الحلول حول ما يجب عمله لدرء خطره : الفئة الأولى ترى ترك النهر على ما هو عليه . وهذه سوف تجرفها النهر عاجلا او آجلا ، وهذه الفئة حالها كحال من يسمح للدوافع الفطرية بالتعبير عن نفسها بغير ضبط ولا تهذيب . وترى الفئة الثانية درء الخطر عن طريق سد منابع النهر تماما ، وهؤلاء حالهم كحال من يكبت الدوافع الفطرية التي هي غريزة في خلق الإنسان وفطرته . وكبتها لا يعني القضاء على وجودها ولذلك تظل تتحين الفرص للظهور والإشباع . فإذا ما قاومها الانسان طويلا فإنها قد تورثه الأمراض النفسية جسمية أو عقلية . وتعتقد الفئة الثالثة أن درء الخطر يكون عن طريق بناء سد في مجرى النهر لحجز المياه فترة من الزمن ، وهؤلاء يؤجلون الغرق بعض الوقت . وقد ينهار السد ويصبح الانهيار محققا ، والفئة الرابعة ترى درء الخطر عن طريق تحويل مجرى النهر إلى مكان آخر صالح للزراعة [٤١] . وهذا هو الاقتراح الذي ينجي القرية من الغرق . فقد حول المياه (أو الدوافع الفطرية) عن طريق الضبط إلى قوة مسخرة خيرة .

وهكذا نرى أن هناك فرقا جوهريا بين الكبت الذي يمنع الدوافع الفطرية من التعبير عن نفسها مما يؤدي إلى الأمراض النفسية ، وبين الضبط الذي يوجه الدوافع إلى التعبير عن نفسها بطريقة فيها خير الإنسان والناس جميعا [٤٢] .

إن العقل هو الأداة الأساسية في النفس للضبط " ولذا سماه العرب عقلا . . لأنه يكف ويضبط . . يضبط العلم ، ويضبط الأهواء والشهوات والغرائز . . وتمده من الداخل النفس اللوامة بما فطرت عليه من كراهية الفجور والشر وتمده من الخارج الشريعة والتربية السليمة " . لذا كان من السنة ان يكون اول ما يستقبل الطفل وأول صوت يسمعه هو صوت التكبير ، لذا يسن الأذان في أذنه . لأنه ينزل مدركا واعيا . لكنه يحتاج إلى نمو الأعضاء الجسمية التي تسمح له بالتعبير عن وعيه وادراكه .

ومهمة المنهج التعليمي أن ينمي التفكير العقلي بما يجعله يتلمس أفضل السبل لتوجيه الدوافع الفطرية للتعبير عن نفسها في ضوء الشريعة الغراء ، كما انه على المنهج التعليمي ان يناصر النفس اللوامة حتى تتغلب على الهوى

---

[٤٠] انظر مدكور : مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

[٤١] ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت . دار الكتاب العربي . ١٩٧٢م . ثلاثة مجلدات . الجزء الثاني ، ص ٣١٠-٣١٢ .

[٤٢] انظر : عبد الرحمن صالح عبد الله : المنهاج الدراسي أسسه ومسلمته بالنظرية التربوية الإسلامية . الرياض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص ٨٦ .

بالنسبة للتصرفات التي تعرض للإنسان فتنجح في التأثير على الإنسان بتعديل سلوكه حيال هذه الدوافع . وللمنهج التعليمي الدور الأكبر في توضيح مبادئ الشريعة الإسلامية . وتوجيهاتها للانسانية في كيفية التغلب على هذه الدوافع والاتجاه بها نحو التعمير لا التدمير . والقصص القرآني مليء بالعبر والعظات التي تساعد على تعديل هذه الدوافع ، ابتداء من قصة قابيل وهابيل في سورة المائدة ، ثم قصة يوسف مع اخوته ومع امراة العزيز . . . وقصة قارون ، وقصة أصحاب الجنة إلى غير ذلك مما تعددت فيه الدوافع وأشار القرآن في عبره وعظاته في نهاية كل قصة وفي أثنائها إلى ما يجب أن يكون في تعديل مثل هذه الدوافع .

١٦ – ولذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ أن الإسلام يعمل على ضبط الدوافع لا كبتها ، وتوضيح ذلك بالنصوص القرآنية التي يقدمها المحتوى للتلاميذ .

الحاجات الإنسانية للتلميذ .

لكل إنسان هدف في حياته يريد أن يحققه . وهذا الهدف – أو الأهداف من الحياة – تتنوع بتنوع العقيدة والاتجاه ، بل تتنوع كذلك وتختلف باختلاف البيئات . ولذا يقول مذكور : " ترتبط حاجات الإنسان باهداف الحياة الإنسانية وغايتها عموما ، لكن الناس يختلفون في طرق إشباع حاجاتهم ، كما يختلفون في أهدافهم . وفي طرق تحقيقها تبعا لاختلاف عقائدهم التي من خلالها يرون الكون والحياة ، وعلى اساسها يفسرون السلوك الإنساني وغاياته .

وتندرج الحاجات الأساسية للإنسان من وجهة نظر الإسلام في مجموعتين : مجموعة الحاجات العضوية المتصلة بجانب الجسم ، وإن كان لها بعض الغايات الوجدانية ، ومجموعة الحاجات الشعورية ، والانفعالية المتصلة بجانب الوجدان والضمير ، وهذان النوعان من الحاجات ضروريان لقوة النفس وأمنها واستقرارها ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (قريش:٣–٤) ، فالحرمان منهما لون من ألوان العذاب والفزع للنفس الإنسانية ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (النحل:١١٢)[٤٣] . والإسلام في يسره وسماحته لايمنع الانسان من تحقيق أمنه الحسي ولا من تحقيق أمنه الشعوري مادام ملتزما في تحصيلهما بحدود الله . قال تعالى : ﴿ يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربيَ الفواحش ما ظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ (الأعراف : ٣١–٣٣) . وقال تعالى : ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الجمعة : ١٠) . إشباع وتحقيق للشعور الإيماني العقدي العملي ، لقاء مع الله في الصلاة وتجديد للعهد الإيماني الأسبق معه سبحانه وشحنة موجبة يتوجه بها المؤمن إلى ميدان الحياة العملية لتحقيق الحاجات الجسمية بعد تحقيق الحاجات الشعورية . ومن فضل الله على الإنسان أنه لم يحرم عليه

---

[٤٣] على أحمد مذكور ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

إلا أشياء محددة قليلة ؛ صيانة لعقيدته وجسمه وعقله ومجتمعه ومحافظة على إنسانيته . وهي محصورة في الايات الثلاث من سورة الأنعام من قوله تعالى ﴿ قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم . . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ . . لعلكم تتقون ﴾ (الأنعام : ١٥١-١٥٣) .

مراحل النمو متشابهة

تتشابه مراحل النمو لدى بني الإنسان . ولا عجب في ذلك . فالخالق واحد هو الله سبحانه وتعالى . والأب واحد هو ادم عليه السلام ، الذي خلقه الله من طين . ونفخ فيه من روحه . ويمكن القول : إن التصنيف العام لمراحل النمو الإنساني واحد تقريبا ، وإن الاختلافات الموجودة بين العلماء في تفسير السلوك والعوامل الكامنة خلفه في كل مرحلة من هذه المراحل إنما ترجع إلى العوامل الاعتقادية والاختلافات الثقافية والاجتماعية[٤٤] ، وعملية النمو بالتدريج والاستمرار ، ويمكن تقسيم مراحل النمو وفق المنهج الإسلامي إلى ما يأتي :

- مرحلة الحمل .
- مرحلة الرضاعة .
- مرحلة الطفولة .
- مرحلة البلوغ والمراهقة .
- مرحلة الشباب .
- مرحلة الرجولة والنضج .
- مرحلة الشيخوخة .

ومن توجيه القرآن في ذلك : ﴿ ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلا . ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . . ﴾ (الحج : ٥) ، وقوله سبحانه : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة . ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم . ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ (غافر : ٦٧) .

طبيعة نمو تلاميذ التعليم الأساسي وحاجاتهم ومطالبهم ومهمة مقرر القرآن الكريم تجاه ذلك

مقدمة :

تهدف دراسة النمو لدى التلميذ إلى الوصول إلى أحسن الشروط البيئية الممكنة التي تؤدي إلى احسن نمو ممكن ، ولتيسير اكتساب أساليب التكيف الاجتماعي .

" ومن خلال ذلك يمكن أن يعود النفع على الآباء والمدرسين وكل من له اهتمام برعاية شئون الأطفال والتخطيط لمستقبلهم ، بل يعود النفع على المجتمع ككل ؛ حيث إن المجتمع يعنى بالاطفال ويهيء لهم احسن الشروط

---

[٤٤] إسحق احمد فرحان وزملاؤه : نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم . قطر ، مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، ص ٤٦ .

لنموهم الصحيح ، وذلك لأن ثروات الأمم تقاس بمدى عنايتها باجيالها المقبلة والكشف عن قدرات الشباب وتوجيهها "[٤٥] .

– طبيعة النمو وماهيته

(ينمو الناشئ في أطر مختلفة . فثمة اطار للنمو الجسمي وثمة اطار للنمو الفسيولوجي وثمة إطار للنمو العقلي . وثمة إطار للنمو الاجتماعي وغير ذلك من مختلف الأطر في المراحل النمائية المختلفة . وتؤدي كل مجموعة من القوى المؤثرة في ناحية ما من نواحي الشخصية الي تغيرات معينة ؛ هذه التغيرات تتكامل في الكل العام الذي يسمى (الشخصية) ولا شك أن وجود الفرد في اطار اجتماعي معين يثير لديه بعض الحاجات المعينة ولكن لا يعلمه طرق إشباعها ، ولو ان ما يثيره المجتمع عند الفرد يتولى تنظيم طرق إشباعه لسار النمو سيرا حثيثا مطردا مستمرا . .

والمقصود بالنمو (تلك التغيرات الإنشائية البنائية التي تسير بالكائن الحي إلى الأمام حتى ينضج)[٤٦] ، وقد تميز الانسان (بقدرته على النمو والتحول من مجرد وحدة بيولوجية الي كائن اجتماعي متخصص . وذلك من خلال عمليتي النضج والتعليم كما تميزت عملية النمو لديه بالانتظام والتسلسل . وتتضمن عملية النمو تغيرات في التكوين أو الوظيفة وهذه التغيرات تتبع نموذجا معينا ، ولا تحدث بطريقة عشوائية ، كما انها عامة ايجابية ، وهي متصلة ومتكاملة ومستمرة ، وتمتاز بانها كبيرة وكثيرة في المراحل الأولى من حياة الفرد)[٤٧] .

– مراحل النمو بين الفقهاء وعلماء نفس النمو

ويمر النمو عبر مراحل متتابعة هي عند الفقهاء المسلمين الأطوار التالية :

طور الاجتنان : ومدته زمن بقاء الإنسان حملا في بطن امه .

طور الطفولة : ويمتد منذ الولادة حتي يصبح الطفل مدركا لبعض المعاني التعبدية كالصلاة والصوم ، وبعض التصرفات المدنية كالبيع والشراء .

طور التمييز : ويبدأ من سن التمييز حتي يصل البلوغ ، واتفق الفقهاء على انه في تمام السنة السابعة من العمر في الحالة الطبعية السليمة يبدأ طور التمييز .

طور البلوغ : ويبدأ بظهور علاماته عند الفتيات بالحيض وعند الفتيان بالاحتلام ، ووضع الفقهاء معيارا اخر يتعلق بالسن فاعتبروا سن الخامسة عشرة مبدأ البلوغ للفتيان والفتيات سواء ظهرت تلك الأمارات فيه أم لم تظهر .

طور الرشد : ويبدأ بتوافر البصيرة المالية ، والقدرة على التصرف ومعاملة الناس[٤٨] .

وهناك تقسيمات لعلماء نفس النمو لا تختلف كثيرا عن التقسيمات السابقة هي :

---

[٤٥] أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي ، ط١٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص٦٧ .

[٤٦] مصطفى فهمي : سيكولوجية الطفولة والمراهقة (القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٧٤) . ص١٩

[٤٧] انتصار يونس : السلوك الإنساني (دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤) . ص ص٥١ ، ٥٢ .

[٤٨] محمد مصطفى شلبي : المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ،ط٢ (القاهرة : مطبعة دار التأليف ، ١٩٦٠) ،ص٣٨٢-٣٨٨ .

المرحلة	العمر الزمني	تربويا
ما قبل الميلاد	من الإخصاب إلى الميلاد	الحمل
المهد	الميلاد (اسبوعين	الوليد
	اسبوعين (عامين	الرضاعة
الطفولة المبكرة	٣ ، ٤ ، ٥	ما قبل المدرسة + الحضانة
الطفولة الوسطى	٦ ، ٧ ، ٨	المرحلة الابتدائية (الصفوف الثلاثة الأولى)
الطفولة المتأخرة	٩ ، ١٠ ، ١١	ما تبقى من المرحلة الابتدائية + الصف الأول من المرحلة الاعدادية
المراهقة المبكرة	١٢ ، ١٣ ، ١٤	ما تبقى من المرحلة الإعدادية + الصف الأول من المرحلة الثانوية
المراهقة الوسطى	١٥ ، ١٦ ، ١٧	ما تبقى من المرحلة الثانوية + الصف الأول من التعليم العالي
المراهقة المتأخرة	١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	التعليم العالي
الرشد	٢٢ – ٦٠	
الشيخوخة	٦٠ – الوفاة [٤٩]	

والذي يهم الباحث من هذه المراحل هي مرحلة التعليم الأساسي بقسميها :(الابتدائي والاعدادي)

خصائص النمو في مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة (مرحلة التعليم الابتدائي)

وعلاقتها بمناهج التربية الدينية الإسلامية

هذه المرحلة هي مرحلة التعلم الجاد والتربية الايجابية الجادة ومهمة منهج التربية الدينية الإسلامية في ذلك تتمثل ضمن ما تتمثل فيه فيما يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم الأباء والمربين بان يعلموا الصبي الصلاة والأمور الدينية المهمة بقوله صلى الله عليه وسلم : " علموا الصبي الصلاة ابن سبع ، واضربوه عليها ابن عشر"[٥٠] .

أ – تلخيص أهم خصائص نمو طفل المرحلة الأولى من التعليم الأساسي فيما يأتي[٥١] :

ينمو عند الأطفال في هذه المرحلة الاستعداد للتعلم . ويظهر عندهم حب الاستطلاع وهو ما يمكن أن نعبر عنه بدافع المعرفة ؛ ولهذا يجب تشجيعهم على العلم والمعرفة وتقديم ما يشبع حاجاتهم ويلبي مطالبهم . ويستعان على ذلك بما هو موضح في التصور المقترح لمنهج المرحلة الابتدائية من هذا البحث صفحة (٥) من أمر بالقراءة في سورة

---

[٤٩] حامد عبدالسلام زهران : علم نفس النمو " الطفولة والمراهقة " ، ط٢ (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٢ ، ص ٥٦٤ .

[٥٠] أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي : جامع الترمذي ، ج٢ ، ط٢ ، تحقيق أحمد محمد شاكر (مكتبة الحلبي ، القاهرة ١٣٩٨هـ) ص ٢٥٩ .

[٥١] انظر في ذلك مقداد يالجن : علم النفس التربوي في الإسلام ، دار المريخ ، المملكة العربية السعودية – الرياض ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، ص ص ٢١٤ ، ٢١٥ " بتصرف ".

العلق في آياتها الخمس الأولى .

٢- ينمو عند الأطفال في هذه المرحلة الاستعداد لفهم التناقض بين الأقوال والأفعال فهم لا يقبلون كل ما يقال لهم كقضية مسلمة كما كانوا من قبل ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن يتجنب الآباء والمربون التناقض في الأقوال والأفعال ؛ لأن التناقض يجعل الأطفال في حيرة . كما أن التناقض بين الأقوال والافعال يزعزع القيم في أذهانهم وقلوبهم ولهذا نجد الإسلام ينهى عن مثل هذه التناقضات . ولذا ينبغي لمنهج التربية الدينية الإسلامية أن يوضح لهم أن الله ينهى عن التناقض بين الأقوال والأفعال بقوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (الصف : ٢ ، ٣) كذلك يجب تعليمهم ما هو حلال وما هو حرام وماهو فضيلة وما هو رذيلة ، والواجبات نحو الآخرين . ويجب تدعيم ذلك بالعقل والعلم وتبين فوائد الالتزام بها ومضار إهماله بقدر علمه وعقله وثقافته فقط .

٣- ينمو عند الأطفال في هذه المرحلة الميل إلي الصداقة ويتكون عندهم أيضا قانونها في هذه السن . وعلى هذا الأساس ينبغي أن يسعى الآباء والمربون إلي تحقيق صحبة طيبة وتكوين عشرة خيرة لهم . وذلك باختيار أصدقاء مستقيمين من أبناء الأقارب والجيران الصالحين ، لتجنيبهم عشرة السوء ، ومن تسرب الرذائل إلي نفوسهم . ثم ليتعلموا السلوك الخير منهم ؛ لأن الطفل يتأثر بسلوك أقرانه أكثر في الخير والشر معا . ولهذا دعا الإسلام إلي مجالسة الصالحين وترك معاشرة الطالحين . وعلاقة منهج التربية الدينة الاسلامية بذلك انه يوضح لتلاميذ هذه المرحلة هذه الحقيقة بمثل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴾ (الزخرف : ٦٧) . وأنه سوف يندم من اتخذ صديقا ضالا مضلا ، ويقول يوم القيامة : ﴿ يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ (الفرقان : ٢٧ ، ٢٨) وكذلك حديث الجليس الصالح والجليس السوء الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : " مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة "[٥٢] ويقتضي هذا وذاك أن يكون المربون خير الناس قدوة وعلما وعملا وعشرة .

ينمو عند تلاميذ هذه المرحلة الميل إلي الصفات البطولية والاهتمام بقصص الأبطال الحقيقيين لا بالقصص الوهمية كما كانوا في المرحلة السابقة . وهذا يقتضي أن تكتب لهم قصص البطولات وغيرها من القرآن الكريم مثل قصة طالوت مع جالوت ﴿ ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى - إلى - وإنك لمن المرسلين ﴾ (البقرة : ٢٤٦) ومثل قصة إبراهيم مع النمرود الواردة في قول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلي الذي حاج إبراهيم في ربه - إلى - والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (البقرة : ٢٥٨) ومثل قصة يوسف الواردة في سورة يوسف . ومثل قصة الغلام والراهب المشار إليها في سورة البروج . إلى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة وحياة الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين . على أن يقدم لهم هذا على حسب مستواهم العقلي والثقافي وبصورة جذابة ومؤثرة .

---

[٥٢] احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٥ ، باب المسلمة ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ ، ص ٥٤٣ .

٥- كما تنمو عندهم القدرة على بعض الاعمال والقيام ببعض المسئوليات ، وعلى هذا الاساس يجب أن يكلفوا ببعض الواجبات في المدرسة وخارجها كالمسئولية عن الفصل في المدرسة والمسئولية عن إدارة النشاط فيها وما إلى ذلك ، كما يجب ان يمارسوا بعض الفضائل كخدمة الاخرين ، والبذل والعطاء للفقراء والمساكين ، والايثار والانفاق والتزكية للنفس من الشح والبخل ، وأن يتم ذلك بالتشجيع لا بالقهر ، وبإثارة عاطفة الرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين والمرضى ، وبتذكيرهم بنعم الله عليهم ، وان ذلك يقتضي الشكر ، وان الله يراهم ، وانه سوف يكافئهم على حسناتهم أضعافا مضاعفة .

وعلاقة منهج التربية الدينية الإسلامية بهذا النمو ان يقدم لتلاميذ هذه المرحلة ما يشبعهم على استمرار هذا النمو بمثل النصوص الآتية : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ (الأنعام : ١٦٠) وقوله سبحانه : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (البقرة : ٢٦١) بالاضافة إلى ما ورد في التصور المقترح لمنهج هذه المرحلة في هذا البحث ص(٧) .

٦- وكذلك ينمو عند تلاميذ هذه المرحلة التمييز للأمور الجنسية وبعض مظاهرها الأولية ، وعلى هذا الأساس ينبغي ان يدربوا على بعض آداب السلوك والمعاشرة مع الكبار ومع أقرانهم : الصبيان والبنات ، وموقف التربية الدينية الإسلامية تجاه ذلك هو ان الله أمر الآباء والمربين بتعليم الصبيان الاستئذان قبل الدخول على الكبار وخاصة في الأوقات التي يحتمل أن تقع عيونهم فيها على العورات ، قال الله تعالى في ذلك : ﴿ يا ايها الذين امنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ (النور :٥٨) . ويقول في شأن الاطفال إذا بلغوا الحلم : ﴿ واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ (النور : ٥٩) .

٧ - الضمير

تعتبر الطفولة المبكرة - التي تبدأ من الثالثة تقريبا - " مرحلة تكوين الضمير ، وهو الشعور الديني لدى الطفل "[٥٣] ، وفيها يتم تكوين ضمير الطفل عن طريق مجموعة من الأوامر والنواهي التي يتلقاها من الوالدين اللذين يقومان بوظيفة الضمير في بدء حياة الطفل ، وبتقدم الطفل في العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية من الآباء والأمهات والمدرسين إلى ان تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل[٥٤] .

٨ - الاتجاه الديني :

يبدأ الاتجاه الديني عند البنات في الحادية عشرة ، ويصل الى أقصاه في الرابعة عشرة ثم يهبط ويثبت في السادسة

---

[٥٣] جابر عبد الحميد وآخرون : الطرق الخاصة بتدريس التربية الدينية الاسلامية (وزارة التربية والتعليم) ، ص١٣ .

[٥٤] محمد جلال شرف ، عبد الرحمن عيسوى : سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلام ، الإسكندرية : مشأة دار المعارف،١٩٧٢م، ص١٦١.

عشرة ، ثم يستقر بعد ذلك . اما البنين فيزداد الاتجاه الديني بالتدريج عندهم من الثالثة عشرة إلى السادسة عشرة ، ثم يتدرج في الهبوط إلى سن العشرين[٥٥] .

وتبدأ بوادر النقد الديني قبيل المراهقة . ثم يصل النقد إلى ذروته في المراهقة فهو يناقش والديه وأساتذته في الأمور التي تتفق وقدراته ، فلقد أصبح الآن يتجه اتجاها فلسفيا في تفكيره في الظواهر الطبيعية وعللها ، والكون والوجود ، ومبدع الكون وخالقه . .[٥٦] . وخاصة عندما يجد تناقضا بين المبادئ المختلفة من ناحية وبين طبيعة السلوك إزاء هذه المبادئ من ناحيه أخرى .

ويرى مصطفى فهمي أن النقد الديني لدى المراهقين " قال حسن يدل على نضج المراهق وتحرره في التفكير . . ويحتاج إلى من يشجعه على التحدث عن مشكلاته "[٥٧] .

فعلى المدرسة أن تأخذ بيد المراهق حتى يمر في مجال النقد بسلام . ومن الوسائل المعينة على ذلك البحوث التي تتضمن الإجابات عن كثير من الأسئلة المحيرة لتلاميذ هذه المرحلة : يقول الجمبلاطي والتوانسي : " يجب أن نضع بين يدى شبابنا المثقف بحوثا واضحة تجيب على كثير من الأسئلة المحيرة التي تدور في أذهان الشباب خاصة عن " الله " وعن البعث ، وعن الجزاء ، وعن القضاء والقدر ، وعن الجبر والاختيار ، وعن الخير والشر وغير ذلك مما يتصل بما وراء الحس ، كل هذا بمنطق العقل وأسلوب العلم "[٥٨] .

ومناهج التربية الدينية الإسلامية كفيلة بإزالة حيرة المراهقين ، وتثبيتهم على الحق واليقين .

ثانيا : أهم الحاجات الأساسية لدى المراهقين وعلاقتها بمناهج التربية الدينية الإسلامية :

من أهم هذه الحاجات ما حدده " حامد زهران" والمتمثل فيما يلي[٥٩] :

- الحاجة إلى الأمن .
- الحاجة إلى الحب والقبول .
- الحاجة إلى المكانة والاعتراف .
- الحاجة إلى الاشباع الجنسي .
- الحاجة إلى النمو العقلي : المعرفي والابتكار .
- الحاجة إلى تحقيق ، أو تحسين الذات .

وعلاقة التربية الدينية الإسلامية بحاجة المراهق إلى الامن أن تنسمه بما يحقق لديه الامن المنشود بمثل النصوص ﴿ يأيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (الفجر ٢٧-٣٠) ويقول الله سبحانه : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (الرعد : ٢٨)

---

[٥٥] انظر ، حامد عبد القادر : في علم النفس (المطبعة المصرية) ١٩٣٢ ص ١٤٤-١٤٥ .

[٥٦] خليل ميخائيل معوض: دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ، ص ٣٥ .

[٥٧] مصطفى فهمي : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

[٥٨] على الجمبلاطي ، وأبو الفتوح التوانسي ، مرجع سابق ، ص ٥٩٢ .

[٥٩] حامد زهران : مرجع سابق ، ص ٤٠٨ ، ٤١٠ .

وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " احفظ الله يحفظك "الحديث[٦٠] . وعلى التربية الدينية الإسلامية أن تصحح للمراهق عقيدته بحيث يعتمد على الخالق دون المخلوق . " فالاعتماد على الخالق اسمى أنواع الاعتماد وهو المحور الأساسي للحياة الدينية كلها . ومن هنا تبدو أهمية العقيدة الصحيحة والفهم الصادق للإله الخالق . ودور المدرسة في هذه الناحية على جانب كبير من الأهمية في غرس هذه العقيدة "[٦١] .

– وعلاقة حاجة التلميذ إلى الحب والقبول بالتربية الدينية الإسلامية تتمثل في دعوة التربية الدينية الإسلامية تلاميذ هذه المرحلة إلى حب الله سبحانه وتعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يوجه الرسول أمته إليه بقوله: " أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه . وأحبوني بحب الله "[٦٢] . وعلق الرسول تحقق حب الله على طاعته كما ورد في قول الله سبحانه – على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم – ﴿ . . . فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (آل عمران : ٣١) . كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلق تحقق الإيمان بتحقق الحب بين أفراد الأمة بقوله صلى الله عليه وسلم " . . ولا تؤمنوا حتى تحابوا . . "[٦٣] . وبهذا التحبب ينمو الإحساس الجماعي ، والتآلف العاطفي ، وتقوى الصلة الفكرية والنفسية والاجتماعية لدى تلاميذ هذه المرحلة .

– وبالنسبة للحاجة إلى المكانة والاعتراف لدى تلاميذ هذه المرحلة وعلاقة ذلك بالتربية الدينية الإسلامية فالمبادئ الدينية وما فيها من تقدير للفرد وتكريم له ، ترسم للأفراد حدود التعامل القائم على الاحترام المتبادل . قال تعالى: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ (الإسراء : ٧٠) كما قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ (الحجرات) ولا سبيل إلى المفاضلة إلا بمقدار السلوك الذي يميز الإنسان في علاقته بالله سبحانه ثم في علاقته بالآخرين ، وفي ذلك يقول الشيخ الشعراوي – بارك الله فيه – : " فكل واحد منا فاضل في جهة ومفضول في جهة "[٦٤] .

– أما حاجة المراهق إلى الإشباع الجنسي فلقد عالجتها التربية الدينية الإسلامية أعظم معالجة بمثل الصوم ، والزواج ، وتربية الضمير ، وتعدد الزوجات . ومن ذلك تعليل فريضة الصيام برجاء تحقق التقوى . والتقوى حصن منيع من كل انحراف . قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣) ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم . فإنه له وجاء "[٦٥] . وعلى مناهج هذه المادة أن تستخدم هذا العلاج لإشباع هذه الحاجة .

---

[٦٠] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ج ٣ . (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر) ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٢ ، ص ٦٦٧ .

[٦١] محمد صلاح الدين مجاور : تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية أسسه وتطبيقاته التربوية (دار المعرفة ، مصر ، ١٩٦٩ م) ، ص ٤٩٧ .

[٦٢] أبو عبدالله الحاكم النيسابوري :المستدرك على الصحيحين :ج٣ (بيروت ،دار الفكر ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ص ١٥٠ .

[٦٣] أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري :صحيح مسلم ،جـ١ ، (دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م) ص ٧٤ .

[٦٤] محمد متولي الشعراوي ، منهج التربية الإسلامية (دار المسلم ١٩٧٦) ص ٣٦ .

[٦٥] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم، البخاري الجعفي، صحيح البخاري ، (دار مطابع الشعب ، بدون تاريخ) ج٧ ،ص٣ .

- كما تستطيع مناهج التربية الدينية الاسلامية ان تشبع حاجة المراهق إلى النمو العقلي والابتكار " من خلال تربيتها للعقل باثارته للتفكير والنظر والبحث ، وإبعاده عن التفكير الخرافي "[٦٦] . قال تعالى : ﴿إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران : ١٩٠-١٩١) .

- والتربية الدينية الإسلامية تستطيع مناهجها العمل على تحقيق المراهق لذاته إذا اتبعت "الاطار الاجتماعي ، والإطار السياسي والاقتصادي الذي يذيب الفوارق في التركيبة الاجتماعية بالصور التي تحترم ذاتية الفرد ، وتحدد كذلك علاقة الحاكم بالمحكوم ، فالأمر شورى ، والحاكم في صف الشعب"[٦٧] .

الميول :

تعريف الميل : من التعريفات التي ارتضاها الباحث للميل " استجابة الفرد استجابة ايجابية أو سلبية نحو شخص ، أو نشاط ، أو شيء ، او فكرة معينة ، وأن هذه الاستجابة تصطبغ بالصبغة الوجدانية ، ثم ان هذه الاستجابة متعلمة ، بمعنى أن الميل أمر مكتسب ، وهو يتأثر بالعوامل التكوينية ، أو الوراثية ، وبالنواحي الاجتماعية والثقافية[٦٨] .

أبرز الميول لدى المراهقين :

من أبرز الميول لدى المراهقين :الاندماج مع الأصدقاء ، وسوف الحديث عن هذا الميل في خصائص نمو مرحلة التعليم الابتدائي وفي النمو الاجتماعي لمرحلة المراهقة :" الانتماء إلى جماعة النظائر" وتتلخص اهم هذه الميول في قراءة الصحف والمجلات ، والكتب ، لاسيما كتب الأدب والفلسفة والدين ، كما يميل المراهق بنوع خاص إلى قصص البطولة ، والقصص التاريخية وتاريخ حياة مشاهير الرجال والنساء ، وخاصة المكافحين والعباقرة منهم ، وهو مغرم بتقليد من يختار من الأبطال ليكون مثله الأعلى ، كما تهدف هذه المطالعة إلى اتباع روح المخاطرة والترحال عند الأفراد . .وأن الميل للقراءة العامة يبلغ ذروته فيما بين (١٢-١٣) سنة ، كما أن ثمة ميل للمراهقين نحو البرامج الإذاعية ، ومشاهدة القصص السينمائي ، والألعاب الرياضية المختلفة[٦٩] . وعلاقة مناهج التربية الدينية الإسلامية بهذه الميول أن تدعم المقبول منها مثل قراءة المفيد : من قرآن وحديث . وهذان المصدران مامن خير الا دلا عليه ، وما من شر إلانفرا منه . إذ فيهما وسائل التعرف على صفات الله وافعاله ، ومايجب له وما يستحيل عليه ، ومايجوز في حقه ، وكذلك ما يجب للرسل وما يستحيل في حقهم ، ومايجوز ، وفيهما القصص ذو العبرة والعظة والقدوة الحميدة . . . وفيهما المشاهد المتعددة لما سيكون يوم القيامة مما يثبت النعيم للمؤمنين ، والعذاب للكافرين والعاصين ، وكذلك قراءة ما يتصل بهذين المصدرين مما منح الله به على العلماء والأدباء وذوي الفن الرفيع المهذب . . . وباختصار فالتربية الدينية الإسلامية من خلال مناهجها الدراسية تستطيع أن توجه الميول بها إلى كل

---

[٦٦] محب الدين أحمد أبو صالح :"تقويم مناهج التربية الدينية الإسلامية بالصف الثالث من المرحلة الثانوية بالجمهورية العربية السورية ، رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ،١٣٩٧-١٩٧٧ م ، ص٢٦٧ .

[٦٧] محمد صلاح الدين مجاور ، مرجع سابق ، ص٤٩٨ .

[٦٨] عطية محمود هنا : التوجيه التربوي والمهني (القاهرة ، دار النهضة المصرية ١٩٥٩) ص ١٥٢-١٥٣ .

[٦٩] عبد المجيد سليمان خروش : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

مفيد : فكرا وسلوكا . عقيدة وعملا . . دون ما قيد او تحرج الا مما يخالف امر الله ورسوله . او نهي الله ورسوله : اقتداء بالسابقين الأولين من المهاجرين والانصار . والذين اتبعوهم باحسان . وتطبيقا لذلك . واجراء له يمكن لمدرس مادة التربية الدينية الإسلامية توجيه تلاميذه إلى الصحف واتجاهات ذات الاتجاه الذي لا يخالف القرآن أو السنة . بل ويشجعهم على تحرير الزوايا الدينية فيما يتاح لهم من صحف مدرسية . ومجلات فصلية . كما يعرض عليهم العديد من الأفلام المتعددة والمتنوعة – بوسائل العرض التي أصبحت ميسورة لكل مدرسة – التي تحول الكلمة في القرآن أو في الحديث إلى حركة وعمل ولون ..

وتجسم المعنى إلى محسوس يثبت في عقول التلاميذ وقلوبهم ثم يرى أثرا في آثارهم .

الاتجاهات :

تعريف الاتجاه : من التعريفات التي ارتضاها الباحث للاتجاه : " حالة استعداد عقلي وعصبي تنظمها خبرة الفرد السابقة . وهذه الحالة توجه استجابات الفرد نحو كل الموضوعات . أو المواقف التي ترتبط بها "[٧٠] .

تكوين الاتجاه

يعمل على تكوين الاتجاهات وسائل كثيرة من أهمها " الأسرة . التقليد . الدين . العادات . العرف . القيم الاجتماعية . الاختلاط في المدرسة . اقتراحات ذوي المكانة الاجتماعية العالية . آراء الخبراء في ميدان معين واتجاهاتهم نحو هذا الميدان . رأي الأغلبية[٧١] . وهذه الاتجاهات غير ثابتة . وانما تقبل التعديل والتغيير . وتغييرها إلى الأفضل أرسل الله الرسل . وأنزل الكتب .

أهم الاتجاهات عند المراهقين وعلاقتها بمناهج التربية الدينية الاسلامية :

من هذه الاتجاهات التثقيف الذاتي . البحث العلمي . الأمانة . حب الاستطلاع . العدالة الوفاء . الصبر . احترام ملكية الغير . احترام الكبير . النظافة التعاون مع الآخرين . حسن الجوار . التسامح .

ولمناهج التربية الدينية الإسلامية المقدرة الفعالة في تنمية هذه الاتجاهات . وتعديلها إلى الأفضل بتوجيهات القرآن والحديث . والبحوث المتنوعة . وبالدعوة إلى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأجلاء .

ب – أهم خصائص النمو في مرحلة المراهقة المبكرة وعلاقتها بمناهج التربية الدينية الإسلامية :

مقدمة :

إن وجود الفرد في إطار اجتماعي معين يثير لديه بعض الحاجات المعينة ولكن لا يعلمه طرق إشباعها ولو أن المجتمع يعلم الفرد طرق إشباع ما يثيره فيه لسار النمو سيرا حثيثا ولهذا تختلف المجتمعات في نوع المثيرات التي يتأثر بها الفرد كما أنها تختلف في تحديد طرق استجابة الأفراد لهذه المثيرات .

والطفل في نموه – في مظاهر مختلفة – يخضع لمجموعة معينة من المثيرات البيئية الاجتماعية التي تنشأ عنها

---

[٧٠] محمود نهاد حموي:"تقويم مناهج التاريخ للمرحلة الثانوية بالجمهورية العربية السورية (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية التربية،جامعة عين شمس ،١٩٧٥،ص٢١.

[٧١] انظر عبد اللطيف فؤاد إبراهيم : المناهج ،أسسها وتنظيماتها ، وتقويم أثرها . ط٥ (القاهرة :مكتبة مصر ، ١٩٨٠) ص٢٧٩ .

حاجات معينة ، هذه الحاجات التي يسعى الطفل إلى إشباعها وتسيطر على سلوكه هي ما يسمى بمطالب النمو)[٧٢] . ولاشك أن تحقيق مطالب النمو لدى الفرد يؤدي إلى سعادته في المرحلة التي يمر بها . وإلى مشاركته الإيجابية في المجتمع الذي يعيش فيه .

أولا : جوانب النمو . وعلاقتها بمناهج التربية الإسلامية :

النمو العضوي وله مظهران :

نمو خارجي وهو النمو الجسمي ، ونعني به التغيرات بالأبعاد الخارجية كالطول والوزن والعرض وتغيرات الوجه .

نمو داخلي وهو النمو الفسيولوجي " وهو النمو في الأجهزة الداخلية الذي يعتري المراهق وقت البلوغ وبعده ومثال ذلك : النمو في الغدد الجنسية . وفي المميزات الجنسية الثانوية "[٧٣] .

أهم مظاهر النمو العضوي ، وعلاقتها بمناهج التربية الدينية الإسلامية :

الزيادة السريعة في النمو الجسمي إلى الحد الذي قد يصل فيه نمو المراهق من حيث الطول والوزن – في السنة – إلى ضعف متوسط نموه في أواخر المرحلة السابقة . وهذه الطفرة في النمو تطرد بوجه خاص فيما بين " (١٠ – ١٤) في البنات ، و(١٢ – ١٥) في البنين "[٧٤] . ويصاحب هذه الظاهرة ميل المراهق نحو الكسل والخمول . . . ومما يعقد مشكلات المراهق أن أجزاء جسمه لا تنمو بسرعة واحدة ، مما يؤدي إلى فقدان الكثيرين للتوافق الحركي . ويبدو عدم الانسجام في النمو في السرعة التي تنمو بها الذراعان والساقان عن بقية الجسم "[٧٥] .

وحين " يبدأ البلوغ وظهور الخصائص الجنسية الثانوية . فإننا نجد الحرج المصاحب للمنافسة اللاشعورية يعتري المراهق من الجنسين . . . ."[٧٦] .

وتستطيع مناهج التربية الدينية الإسلامية أن تسهم بتحقيق مطالب هذا النمو بمثل :-

١ – توجيه النشء إلى القواعد الصحية التي أمر الإسلام بها في الطعام والشراب والنوم . وإلى الظواهر التي حرمها الإسلام والتي تضر بالصحة وتفتك بالجسم .

٢ – الربط بين العادات الصحية . وما جاءت به تعاليم الإسلام .

٣ – تقديم الخبرات الرياضية مسايرة لمراحل النمو .

٤ – العناية بالمظهر العام .

٥ – الحث على تلاوة القرآن الكريم . والحديث الشريف بصوت مسموع في حجرة الدراسة حتى يتمكن المراهق من التعرف على أحكام التلاوة من ناحية و" ليتعود على سماع التغير في صوته وصوت غيره ، وليتأكد من ان

---

[٧٢] أحمد زكي صالح : علم النفس التربوي ، ط٩ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٦) ، ص٨٦ .

[٧٣] أحمد زكي صالح : مرجع سابق ، ص٢١ .

[٧٤] مصطفى فهمي : مرجع سابق ، ص٢٢ .

[٧٥] سعد جلال : المرجع في علم النفس ، ط٣ (دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣) ، ص٢٠٦ .

[٧٦] حامد زهران : مرجع سابق ، ص٢٩٣ .

هذه مرحلة طبيعية في نمو كل ولد "[٧٧] من ناحية أخرى .

٦- ترويد النشء بالحدود والضوابط اللازمة لسلامة الغريزة الجنسيه بالاضافة الى الاجابة عن كثير من الأسئلة التي تتردد في سن المراهقة حول هذا الجانب من النمو ، حيث يمكن لمناهجها ان تقدم الثقافة الجنسية وغيرها على فترات . وموزعة على مراحل " كما أوردها القرآن الكريم والدين . موزعة على ابواب الطهارة والصلاة والصوم . والأحوال الشخصية كالخطبة والزواج والطلاق . والاجتماعيات كالاستئذان عند دخول البيوت . وبطرق الإسلام الى الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات . . . وهكذا " [٧٨] .

٢- النمو العقلي :

هذا الجانب من النمو كغيره من الجوانب الأخرى لا يسير بسرعة مطردة في جميع الاعمار بيد انه يبلغ اقصى سرعة له خلال مرحلتي الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة وفيما عدا ذلك يكون النمو بطيئا . يقول البهي : "إن نمو الذكاء في الطفولة المتوسطة يظل يستطرد في نموه حتى المراهقة ثم ينحني بعد ذلك في اتجاه سن الرشد ثم يثبت على ذلك حتى بدء الشيخوخة . . . " [٧٩] .

أهم مظاهر النمو العقلي :

نمو القدرات العقلية :

ومنها القدرة اللفظية التي تبدو واضحة في مقدرة بعض الأفراد على فهم الالفاظ والتعبيرات اللغوية المختلفة ومعرفة مترادفات الكلمات واضدادها . . .

القدرة المكانية وتظهر في مقدرة بعض الافراد على فهم الاشكال الهندسية المختلفة وادراك العلاقات المكانية في سهولة ويسر . . .

القدرة العددية وتظهر في سهولة إجراء العمليات الحسابية الأساسية . . .

قدرة التذكر المباشر وتتحقق في بعض الأفراد على استدعاء الأرقام والألفاظ استدعاء مباشرا .

القدرة الاستقرائية وتبدوا في سهولة اكتشاف القاعدة من جزئياتها .

القدرة الاستنباطية وتبدو في معرفة الجزئيات التي تنطوي تحت لواء قاعدة معروفة .

السرعة الإدراكية وتبدوا في الإدراك السريع للأمور البسيطة . فهي بهذا المعنى قدرة إدراكية[٨٠] .

نمو العمليات العقلية :

تبدأ " العمليات العقلية مثل الانتباه والادراك والتذكر والتفكير والتخيل في النضج في المرحلة الواقعة بين

---

[٧٧] عبداللطيف فؤاد إبراهيم : المناهج ،أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها . ط٥ ، القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٨٠ ، ص٢١٧ .

[٧٨] محمد صالح سمك : فن التدريس للتربية الدينية وارتباطاتها النفسية ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣ ، ص٨٧ .

[٧٩] فؤاد البهي السيد : الأسس النفسية للنمو من الطفولة للشيخوخة . ط٤ ، دار الفكر العربي ١٩٧٥ ، ص١٩٤ .

[٨٠] انظر المرجع السابق ص ص٢٧٦ ، ٢٧٧ .

الطفولة والمراهقة وخاصة بعد سن التاسعة "[٨١].

علاقة النمو العقلي بمناهج التربية الدينية الاسلامية :

يمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية تنمية القدرات العقلية : فيمكن تنمية القدرة اللغوية عن طريق تدريس " نصوص القرآن الكريم ، والحديث النبوي " تلاوة وتفسيرا وحفظا ، تطويعا لألسنة النشء على اليسر البيان القرآني والحديثي ، وإمدادهم بثروة عظيمة من الألفاظ والعبارات السامية ، وتمثل مهارة النطق لديهم عن طريق أحكام التجويد وبيان مخارج الحروف ، كما يمكن لمناهجها تنمية قدرة النشء على التذكر عن طريق حفظ النصوص القرآنية والحديثية ليسموَ سلوكهم في الحياة .

وتستطيع مناهج التربية الدينية الإسلامية ان تنمي القدرة الاستقرائية عن طريق " دراسة مجموعة من نصوص القرآن والحديث المتصلة بتحقيق هدف من الأهداف السلوكية للفرد – في مواقف متعددة – فيتوصل منها بمساعدة المدرس لتفسير القاعدة الناظمة لذلك السلوك فيتدرب الطالب على هذا الاسلوب "[٨٢]. أما القدرة الاستنباطية فيمكن لمناهج التربية الدينة الإسلامية العمل على تنميتها من خلال تدريس بعض المبادئ الشرعية من نصوص القرآن والسنة وبعض الأحكام الفقهية التي توصل إليها الفقهاء ، والتعرف على ما يمكن ان يندرج تحت كل منها من أحكام منظمة لأنشطة مستجدة .

أما العمليات العقلية فيمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية أن تعمل على الإفادة من النمو فيها بتزويد مناهجها بالعبادات والقيم التي يحتاج تمثلها إلى شيء من الدقة والتفصيل .

" وحيث تزداد العلاقة بين كل من الانتباه والميل فإنه ينبغي ربط ما يدرس بواقع الحياة ، وبما يحل مشكلات التلاميذ ، ويحقق حاجاتهم ، وحيث تزداد الحساسية الادراكية للاحداث ، وادراك المغزى من وراء القصص ، بالإضافة إلى قدرة المراهق على التخيل الذي يتخطى حدود المكان والزمان . يمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية استغلال هذه الظاهرة بما تقدمه من أخبار الأمم والحضارات السابقة وقصص الانبياء والصالحين ومستقبل الاسلام والمسلمين في ضوء الظروف الراهنة ، وعواقب تصرفات الأمم والأفراد نتيجة الاتباع والمخالفة للنصوص الدينية المقررة، وبربط الاسباب بمسبباتها، وما إلى ذلك"[٨٣].

(وعلاقة القدرة على التخيل المجرد يمكن لمناهج التربية الدينية الاسلامية أن تفيد التلاميذ منها وتنميها لديهم بتقديم المفهومات الدينية فهم فيما يتصل بالجانب التخيلي المجرد كعالم الغيب وما وراء المادة (الملائكة – الجن – البرزخ – الجنة – النار – . . .) .

وتستطيع مناهج التربية الدينية الإسلامية المساهمة في رعاية قدرة المراهق على التذكر القائم على الفهم وتنميتها

---

[٨١] عبدالمنعم الزيادي : بين الطفولة والمراهقة (الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٧) ، ص١٧ .

[٨٢] محب الدين ابوصالح : تقويم مناهج التربية الدينية الإسلامية للمرحلة الثانوية في الجمهورية العربية السورية رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية التربية – جامعة عين شمس ، ١٣٩٧-١٩٧٧ ، ص٣٠٥ .

[٨٣] عبدالمجيد سليمان خروش : مرجع سابق ، ص ص٣٢ ، ٣٣ .

بما تقرره من النصوص القرآنية والنصوص الحديثية بالمقدار المناسب للحفظ والتفسير الواضح الذي يساعد على فهمها حق الفهم تقوية للذاكرة وبعدا عن مجرد سرد المعلومات

أما نمو عمليات التفكير عند المراهقين فبوسع مناهج التربية الدينية الإسلامية أن تعمل على استمرار النمو فيها من خلال تقديم الحقائق والمعلومات والمبادئ والأحكام الفقهية بطرق استدلالية متعددة . والعمل على تكوين مهارات التفكير العلمي الصحيح لدى تلاميذ هذه المرحلة كمطلب يدعو إليه الفكر الإسلامي .

كما يمكن للمدرس أن يكسب تلاميذه هذه القدرة عن طريق " اتباع أسلوب التعيينات . بان يعين لهم موضوعاً ويطالبهم بالقيام بدراسته بعد أن يضع لهم قائمة بالمراجع . ثم يشرح لهم طريقة البحث وجمع المعلومات واستنباط الأحكام العامة "[٨٤] . على أن يراعي في هذا الاسلوب وغيره المقومات العامة للتدريب على التفكير والتي تشتمل على " الثقة بالنفس ، الإحاطة المعرفية . مرونة التجاوز ، التدرج في التحقق "[٨٥] .

٣- النمو الاجتماعي

مقدمة :

في مرحلتي الطفولة والمراهقة يتصف النمو الاجتماعي بالتألف مع الآخرين تارة والعزوف عنهم تارة أخرى . إلا أن مظاهر الإلفة والعزوف عنها تتميز إلى حد ما في مرحلة المراهقة عنها في مرحلتي الطفولة والرشد .

أهم مظاهر النمو الاجتماعي :

الثقة وتأكيد الذات .

الانتماء إلى جماعة النظائر .

البصيرة الاجتماعية والمقصود بها قدرة المراهق على النفاذ ببصيرته الى ما بعد السلوك ليتعرف على " آثار تفاعله مع الناس ، فرب كلمة هو قائلها قد تثير حوله عاصفة من الغضب ، أو أن تنطوي على الحياة جرا من الإلفة . فهو لهذا قد ينفذ ببصيرته إلى أعماق السلوك ويلائم بين الناس وبين نفسه "[٨٦] .

اتساع دائرة التفاعل الاجتماعي " تتميز المراهقة المبكرة بانها مرحلة التطابق والمسايرة Conformity والموافقة والامتثال والقبول والانسياق ومحاولة الانسجام مع المحيط الاجتماعي ، وقبول العادات والمعايير الاجتماعية الشائعة بغية تحقيق التوافق الاجتماعي[٨٧] . فالمراهق يقترب بسلوكه من المعايير التي ارتضتها جماعته حتى يحقق التوافق الاجتماعي .

علاقة مناهج التربية الدينية الإسلامية بأهم مظاهر النمو الاجتماعي السابقة :

يمكن لمناهج التربية الدينية الإسلامية ان تعين المراهق على تحقيق ذاته وتأكيدها من خلال تدريس الحقائق

---

[٨٤] علي الجنباطي ، أبوالفتوح التونسي : الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، بدون تاريخ) ، ص٤٥ .

[٨٥] سيد أحمد عثمان : المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة " دراسة نفسية تربوية " ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ص٢٣٥، ٢٣٦ .

[٨٦] فؤاد البهي السيد ، مرجع سابق ، ص٣١٢ .

[٨٧] حامد زهران ، مرج سابق ص٣٢٢ .

والمعلومات والقيم الدينية التي تساعده على تكوين مبادئ حياة يجعلها اساسا في تكوين شخصيته . وقد حرصت النصوص القرآنية على تأكيد التفرد والتميز في الشخصية الانسانية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا اتي الرحمن عبدا ﴾ (مريم : ٩٣) . ﴿ وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ﴾ (مريم : ٩٥) .

ومن اهم خصائص النمو بصفة عامة مايلي :

– أنه نتيجة للتفاعل بين العوامل الوراثية والخبرات المكتسبة من البيئة المحيطة بما في ذلك الخبرات التربوية . وبذلك فالإنسان لا يصل بالنمو إلى درجة كماله الإنساني نتيجة للعوامل الوراثية وحدها . بل لابد من تفاعل هذه العوامل مع العوامل البيئية بصفة عامة ، والعوامل التربوية بصفة خاصة .

– أنه متصل اتصالا وثيقا بالنضج . فالنمو لا يسير في الاتجاه الصحيح ولا بالسرعة المطلوبة الا إذا وصل الإنسان إلى مرحلة النضج المناسبة لذلك ، فنمو الطفل في تعلم المشي أو القراءة أو الكتابة لا يسير في سهولة ويسر إلا إذا وصلت الأعضاء الخاصة بذلك إلى مرحلة النضج المناسبة .

– أنه يتجه من العام إلى الخاص فكل الحيوانات والنباتات بدأت خلية واحدة . ثم انقسمت إلى أعضاء متمايزة .

– أن هناك فروقا فردية في النمو ، فالأفراد جميعا لا ينمون بدرجة واحدة . كما أن درجات النمو الجسمي والعقلي والنفسي للفرد الواحد لاتسير بسرعة واحدة .

ومن توجيه القرآن في ذلك قول الله سبحانه : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ﴾ (الروم : ٥٤) . وقوله سبحانه : ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . . ﴾ (الزخرف : ٣٢) .

يقول الشوكاني : " إنه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم . . "[٨٨] .

١٧ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يراعي مقرر القرآن الكريم خصائص نمو التلاميذ – المذكورة – ، وأن تجيء النصوص المقررة في كل صف مناسبة لنضج تلاميذ هذا الصف ونموهم .

ويقول مدكور : " ومن هنا كان إصرارنا على ضرورة اشتمال التعريف الخاص بمنهج التربية الإسلامية على الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة مع الخبرات الإنسانية المتغيرة ، حيث إن اتجاهات النمو في القدرات والمهارات المختلفة ، وكذلك في الخبرات الإنسانية المتغيرة ، لابد وان تخضع كلها للمعايير والقيم الإلهية الثابتة ، والا صارت الأمور إلى فوضى مدمرة وهلاك محقق "[٨٩] .

ولذا كان النمو وسيلة لا غاية ، ويكون سويا فينتهي إلى خير ، وغير سوي فيؤدي إلى غايات غير سوية ومن

---

[٨٨] محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير ، المجلد الرابع ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٥٥٤ .

[٨٩] علي أحمد مدكور ، مرجع سابق ، ص ١٦٤–١٦٥ .

ذلك ما ورد في شأن الوليد بن المغيرة : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم ادبر واستكبر ، فقال ان هذا إلا سحر يؤثر ، ان هذا إلا قول البشر ﴾ (المدثر ١١-٢٥) .

فهذا الإنسان نما : مالا ، وبنين ، وفكرا ، ولكنه النمو الذي لم يخضع للمعايير والقيم الاخلاقية الثابتة ، فكان مصيره النار ﴿ سأصليه سقر ﴾ (المدثر : ٢٦) .

فالنمو المطلوب للإنسان هو النمو الذي يتجه بصاحبه إلى القيم الإسلامية التي تعمل على عمارة الكون لا التي تخريبه ، وإلا فلقد نمت روسيا عسكرياً ، ولكنه النمو الذي لم يحفظ ديناً ولم يسعد مخلوقا ، فما الغاية التي حققتها ؟.

ولذا فالنمو في الإسلام وسيلة ويشترط فيه أن يكون وسيلة خاضعة للشروط الشرعية ، من الاتجاه به إلى الغاية الحميدة ، وتمر مراحله كلها بما أحل الله لا بما حرم ، ولذا تكون غايته بالضرورة حميدة قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (الزلزلة : ٧-٨) ، ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ (الكهف : ٣٠) ، ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين ﴾ (العنكبوت : ٦٩) .

١٨ - لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ ان الدين الإسلامي يعمل على توجيه نموهم بحيث يتفق مع أحكام الإسلام وقيمه وأخلاقه ، وضرورة أن يتضمن المحتوى ما يؤكد لهم ذلك .

النمو والتعلم

إنه لما كان التعلم بحسب النمو : أعني أن مرحلة التعلم تكون بحسب الوصول إلى درجة نمو تناسبها لدى المتعلم ، كان لزاما علينا أن نعرف مراحل النمو ، لنختار لها ما يناسبها من المنهج التعليمي . ومن رحمة الله بالإنسان أنه جعله يمر بمراحل نمو متطورة . وأن النمو في ذاته وسيلة يصل بها الانسان إلى درجة الكمال التي هيأه الله لها ، وفي ذلك يقول مدكور : " إن نمو الإنسان إلى درجة الكمال التي هياه الله لها هو الهدف الأسمى لمنهج التربية الإسلامية ، فلكل إنسان درجة كمال يمكن أن يصل إليها لو توافرت له الظروف البيئية والتربوية المناسبة .

إذن فالنمو ليس غاية في ذاته في منهج التربية الإسلامية ، لكنه وسيلة لغاية هي : إيصال كل فرد إلى درجة كماله المهيأ لها من قِبَل الله ، وعلى العكس من ذلك يقف جون ديوي - أحد أبرز المؤسسين للفلسفة البراجماتية - فهو يرى أن " الفكرة القائلة بأن النمو والتقدم يرميان إلى هدف نهائي لا يتغير ولا يتبدل ، هي اخر أمراض العقل البشري في انتقاله من نظرة جامدة إلى الحياة إلى نظرة مفعمة بالحركة "[١٠] . فليس للتربية هدف نهائي على حد زعم جون ديوي . فالتربية في رأيه هي عملية نمو . ولاشيء يحدد النمو سوى مزيد من النمو !.

لكن النمو قد يسير في اتجاهات غير مرغوب فيها . فعصابات المافيا والحكومات العنصرية تنمي لدى أعضائها المهارة والقدرة على السرقة والاغتصاب والاحتيال ، وكلما زاد نموهم في هذا الاتجاه كلما ازداد فيامهم بمزاولاتهم

---

[١٠] جون ديوي : الديموقراطية والتربية ، ط٢ ، ص ٥٨ ، اقتبس عنه عبد الرحمن صالح عبد الله : المنهج الدراسي ، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٨٦ .

بسهولة ويسر ، إذن فلابد من وجود معيار للحكم على قيمة النمو واتجاهه ." ولايستطيع المرء إصدار حكم على نوعية النمو في قدرة معينة ، إلا إذا توافرت لديه معايير تقع خارج تلك القدرة . فالنمو في حد ذاته ليس قيمة ، وإنما تعرف قيمته بعد تحديد الاتجاه الذي يسير فيه " [٩١] .

العلاقة بين النمو والتعلّم

إن العلاقة وطيدة بل أساسية – فيما يرى الباحث – بين النمو والتعلم وسيعرض الباحث هنا – باختصار – رأي بعض علماء الغرب في هذا الموضوع ، ثم يذكر رأي بعض علماء المسلمين فيه :

١ – يختلف برونر وبياجيه مع جانييه في ذلك . فبينما يهتم برونر وبياجيه بالنمو العقلي للمتعلم ، ومراحل تفكيره المختلفة . فإن جانييه يهتم أكثر بشروط التعلم ، وبالمحتوى المنهجي ، وبكيفية ترتيب الموضوعات بحيث تلائم المتعلم ، فالاستعداد للتعلم عند جانييه يعتمد على كمية مالدى المتعلّم من معلومات وخبرات سابقة كما يعتمد على طريقة تنظيم المعلومات الجديدة ، (فالشخص يكون مستعدا لتعلم فكرة أو مفهوم ما اذا كانت لديه أفكار أو خبرات أو معلومات سابقة متصلة بالمفهوم ، أو الفكرة التي يريد أن يتعلمها . كما ان طريقة تنظيم وعرض الأفكار أو المفهومات أو المعلومات الجديدة له دخل كبير في اظهار استعداد المتعلّم للتعلم ، ولذلك فنظرية جانييه لاتنظر إلى مراحل النمو العقلي ، وإنما تنظر الى انواع التعلم التي تعتمد إلى حد كبير على نوعية الموضوع المعروض للتعلم ، وعلى الخبرات السابقة لدى المتعلم .

والأمر على عكس ذلك عند بياجيه وبرونر . فالاستعداد للتعلم عندهما يعتمد على النضج العقلي للشخص ، وطريقة تفكيره بغض النظر عن كمية المعلومات التي لديه . فالشخص يكون مستعدا لتعلم فكرة أو مفهوم ما إذا كانت لديه القدرة العقلية على استيعاب هذه الفكرة ، يعني : اذا كانت طريقة تفكيره ملائمة لتقبل الفكرة ، أو استيعاب هذه الفكرة ، يعني : إذا كانت طريقة تفكيره ملائمة لتقبل الفكرة ، أو المفهوم الجديد)[٩٢] .

وهكذا يقف أبرز علماء هذا العصر من المربين الغربيين على طرفي نقيض في تفسير العلاقة بين نمو الشخص المتعلم ، ومحتوى التعلم ، أو الموضوع المراد تعلمه ، وحدوث عملية التعلم ذاتها . فبينما يرى البعض أن الاستعداد للتعلم ، وحدوث عملية التعلم تتم اعتمادا على الموضوع المراد تعلمه ومدى الخبرات السابقة الموجودة لدى المتعلم ، والمتصلة بهذا الموضوع ، نجد البعض الآخر يركز على درجة النمو العقلي التي وصل إليها المتعلم ، وطريقة تفكيره ، بغض النظر عن الموضوع المراد تعلمه والخبرات السابقة المتصلة به .

٢ – ويقول مدكور : " إن الإسلام لا يرى هذا التطرف سبا ولا داعيا ، فالتعلم يحدث لو توافرت الشروط التالية :

– أن يكون المتعلم في مرحلة النمو المناسبة .

– أن يشعر بحاجته إلى الاستعانة بهدى الله .

---

[٩١] عبد الرحمن صالح عبد الله : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

[٩٢] انظر : على أحمد مدكور ، منهج التربية في العصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص١٦٧ ، ١٦٨ .

– أن يستخدم طريقة التفكير المناسبة لموضوع التعلم .

– أن تتوافر لديه الخبرات السابقة التي تعينه على فهم الموضوع الجديد .

– ان يُنظم الموضوع ويُعرض بشكل مناسب للمرحلة النمو العقلي للمتعلم ، ولنوعية الموضوع نفسه.

ثم يقول : " إن الإنسان من وجهة نظر الاسلام ليس جهاز ، او حاسبا آليا ، تزوده بالمعلومات ، والمواد الدقيقة من جانب ليعطيك النتائج لها من جانب آخر . إنه كائن عظيم ، خلقه الله في احسن تقويم ، ونفخ فيه من روحه ، فهو يتعلم عن طريق العمل والخبرة المباشرة ، ويتعلم عن طريق استخدام العقل في التفكير ، ويتعلم أيضا عن طريق الإلهام ، ويورد الدكتور مذكور قول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل: ٧٨) "إن القرآن يعبر بالقلب ، ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية ، وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل ، وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل "[٩٣] . " فالإنسان مخلوق عظيم ، أعده الله ليكون خليفته في الارض ، وزوده بقوى وامكانات وقدرات للعمل والتوجيه ، نعلم عنها شيئا ونجهل منها أشياء كثيرة "[٩٤].

النمو وتعلم القرآن الكريم :

إن أولى ما يستفاد من نمو الأطفال : حفظ القرآن الكريم ، وتلاوته تلاوة صحيحة ، وفهمه بقدر المستطاع ، وانه لمن الواجب على أوليا الأمور استغلال فترة النمو المتتابع والشامل عند أبنائنا في هذه الفترة ليستعان بها على بناء أبناءالإسلام بناء عقديا وثقافيا وروحيا واجتماعيا على هدي من كتاب الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ (القمر : ١٧) ، ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ (الدخان : ٥٨) . ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (الشعراء : ١٩٢–١٩٥) . فتيسير الله أمر القرآن للذكر : حفظا وفهما وتلاوة . . تضافرت عليه عدة دوافع منها أن الله جعله أساسا للهداية : قال تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (البقرة: ٢) . ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (الإسراء : ٩) ، ويستحيل عقلا وواقعا وشرعا أن يتخلف مراد الله ، ولذا نسمع كثيرا ممن يسلم مجرد انه يسمع تلاوة القرآن ، والله سبحانه وتعالى جعله شفاء لما في الصدور من الامراض المعنوية ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (يونس : ٥٧) . والجن آمنوا لما سمعوا القرآن ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ (الجن : ٢) ، وقال بعضهم في موطن آخر : ﴿ ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ (الأحقاف : ٣٠، ٣١) ، والله جعله نورا فقال : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (المائدة : ١٥، ١٦).

---

[٩٣] سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص٢١٨٦ .

[٩٤] علي أحمد مذكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

ومنها أنه باللغة العربية أيسر اللغات البشرية " ولذا ينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ تعليمهما القرآن الكريم منذ الصغر ، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد ان الله تعالى هو ربهم . وأن هذا كلامه تعالى . وتسري روح القرآن في قلوبهم . ونوره في أفكارهم وإداركهم وحواسهم . وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر . وان ينشآ ويشبّا على محبة القرآن والتعلق به . والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه . والتخلق بأخلاقه . والسير على مناهجه . وتعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام . فينشئون على الفطرة . وتسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تكدس الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال[٩٥]" .

وأكد ابن خلدون هذا المفهوم بقوله : " اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث . وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات . وسبب ذلك ان التعليم في الصغر أشد رسوخا . وهو أصل لما بعده . لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات . وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه"[٩٦] .

وكذلك قال ابن سينا : " فإذا تهيأ الصبي للتلقين ووعى سمعه أخذ في تلقينه القرآن . وصورت له حروف الهجاء . ولقن معالم الدين"[٩٧] .

١٩ – لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يستفاد من النمو السريع لدى تلاميذ المرحلة – موضوع الدراسة – في تلاوة وفهم وحفظ القرآن الكريم وضرورة أن يحقق ذلك في الخطوى المقرر في هذه المجالات .

خصائص التلميذ المسلم كما جاءت في القرآن الكريم .

من التصور الإسلامي السابق للفطرة الإنسانية يمكن القول : إن أبرز خصائص هذا الإنسان الذي يعمل منهج التربية الإسلامية على بنائه ما يلي :

هو عبد رباني : يقول مذكور : " الإنسان المسلم عبد رباني مصدرا وغاية . يفهم الإسلام على أنه النظام أو المنهج العام الذي يحكم الحياة . وأن هذا النظام أو المنهج صادر من الله وأن عمل الإنسان فيه هو تلقيه وإدراكه والتكيف به . وتطبيق مقتضياته في واقع الحياة على الأرض . وأن وظيفته هي الخلافة في الأرض لتحقيق معنى العبادة فيها . وأن العلم عنده هو إدراك قوانين الله في الكون وتطبيقاتها في إعمار الحياة . وأن مهمة العلم والمعرفة هي إقداره على المساهمة بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله[٩٨] . وبذا يستعين العبد الرباني بالعلم والمعرفة على تحقيق العبودية الكاملة بتأدية دوره الذي جاء إلى الأرض من أجله وهو عمارة الكون بتوحيد الله ، وتحقيق ربوبيته وتنفيذ أوامره ، مترسما في ذلك هدي القول الكريم : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا

---

[٩٥] انظر : محمد نور سويد . منهج التربية النبوية للطفل . ط ٢ . ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . ص١٠٤ .

[٩٦] ابن خلدون : المقدمة . دار القلم بيروت . ط ٦ . ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ . ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

[٩٧] ابن سينا : كتاب السياسة ، باب سياسة الرجل وولده ، نقل ذلك عنه : محمد نور سويد . مرجع سابق . ص ١٠٥ .

[٩٨] علي أحمد مدكور : مرجع سابق . . ص١٦٩ .

قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (الأنعام : ١٦١-١٦٣) .

وهو حر : إن الإنسان حر ، مكرم على سائر الخلائق في الارض ، ومن ثم فهو مسئول ومستخلف من الله فيها، معان من الله ﴿ وهو معكم اينما كنتم ﴾ (الحديد:٤) ، ومسخر له كل ما في الارض ، وما في السماء: ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه ﴾ (الجاثية:١٣) . وعلى هذا فليس هناك قيمة مادية في هذه الأرض في الماضي أو الحاضر أو المستقبل تعلو قيمته ، أو تهدر من اجلها قيمته.

وحريته الحقة جاءته من التوحيد الحق بالعقيدة الحقة . . .

تقول بنت الشاطئ : " التوحيد وهو جوهر العقيدة ليس إلا رفضا للعبودية للبشر في مختلف ضروبها وأشكالها وهذا تحرير للإنسانية من مهانة الرق أو الاستعباد ، ومن فتنة تقديس الزعماء أو الأبطال . . . وأغلال الخوف من الجبابرة والطغاة " [٩٩].

ويقول د . محمد رشاد خليل : " وهذه العبودية العابدة هي أصل الحرية الإنسانية الحقيقية " فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ليس الغنى عن كثرة العرَض ، ولكن الغنى غنى النفس " رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه . وحرية القلب تتحقق بالعبودية العابدة لله " . . . كلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ، لقضاء حاجته ، ودفع ضرورته قويت عبوديته له ، وحريته مما سواه . فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له ، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه . كما قيل : استغن عمن شئت تكن نظيره . وافضل على من شئت تكن اميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره . [١٠٠] هذه الحرية المتحققة بالعبودية العابدة لله هي أساس الكرامة الحقيقية للانسان " [١٠١] .

٢٠ – لذا ينبغي أن تؤكد الأهداف في مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ أن الإنسان حر مسئول ، وذلك من خلال النصوص القرانية التي تقدم إليهم لتؤكد فيهم هذا المعنى .

وهو يتطور ويرقى حول محور ثابت : بما أن الإنسان عبد رباني محارق لله ، وعابد إليه ، وان وظيفته القيام بحق الخلافة في الأرض وفق منهج الله ، فهو يحتكم إلى منهج الله في كل شيء ، ذلك المنهج الذي يقرأ فيه قول الحق سبحانه : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ (يوسف : ٤٠) وهو يتغير ويتطور ، ويتحرك داخل إطار ثابت ، وحول محور ثابت من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة : ﴿ وما تشاءون إلا ان يشاء الله ﴾ (الإنسان : ٣٠) ، ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد : ١١) ، ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ (الإسراء :٧) ، ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ (النور : ٥٤) ، ﴿ إن الله مع الذين

---

[٩٩] د . عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ – : مرجع سابق ، ص١٨٤ .

[١٠٠] أحمد بن تيمية ، رسالة العبودية تعليق عبد الرحمن الباني ، ص٩٣-٩٧ دار التعليم الكويت فيما نقله عنه د. محمد رشاد خليل في كتابه علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، ص١٤٥ .

[١٠١] محمد رشاد خليل – مرجع سابق ص ١٤٥-١٤٦ .

اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (النحل :١٢٨) .

ويستفيد من كل الخبرات الإنسانية التي لا تتناقض مع هذه الخلائق والمعايير والقيم الإلهية : كالخبرة المأخوذة من هذه القصة : ﴿ . . . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال ما مكّني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ﴾ (الكهف:٩٤-٩٨).

" إن التربية الإسلامية تتجه إلى ترقية الأفراد وتنشئتهم تنشئة من شأنها إيجاد الأفراد المتميزين بصفات نفسية وخلقية وروحية وجمالية واجتماعية وجسمية فائقة . وتشجع التربية الإسلامية هؤلاء الأفراد على استعمال طاقاتهم ومواهبهم لاكتساب ما يعود عليهم وعلى أمتهم وعلى مجتمعهم بالخير والنفع والتقدم .

نعم تدعو التربية الإسلامية إلى تنمية طاقات الأفراد المبدعة فكريا وعمليا لتنطلق في سبيل خدمة المجتمع دون السماح لأي عائق أن يقف في وجه تلك الطاقات : العائق العنصري أو العائق الطائفي أو العائق الطبقي، أو أي عائق من عوائق الجور والظلم والتعصب. ولذلك فمواهب الأفراد وقدراتهم ينبغي أن تنمى وتظهر فاعليتها في الحياة [١٠٢].

وهذا الاتجاه في التربية يفرض على من بيدهم أمور التربية والتعليم أن يختاروا من الوسائل وحوافز العمل والإبداع ما يكفل تحقيق هذه الأهداف من خلال الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام . وكما أن هذا الاتجاه من شأنه أن يغذي المجتمع والدولة بعناصر من القوة فكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا وصناعيا وزراعيا . . . مما يعود على المجتمع والدولة والإنسانية جمعاء بالقوة والمنفعة والازدهار وترمي التربية الإسلامية إلى ترقية الإنسان من خلال تحقيق رقيه في الجوانب التالية :

١- الرقي العقلي : والرقي العقلي يؤهل الانسان للإيمان بالله ، كما يؤهله للبحث عن حقائق الأشياء ومعرفة مكانه من هذا الكون ، ويرتفع به الإدراك الحق . . . ومما يؤكد أن ترقية العقل هدف تربوي إسلامي ما ورد في القرآن الكريم من آيات تعلي من شأن العقلاء حين مدحت أولي الألباب . قال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران : ١٩٠-١٩١) . وإلى جانب ذلك فإن آيات القرآن تحمل بشدة على الذين لا يرتقون بعقولهم وتفكيرهم بل يقفون في مراتب هابطة من التفكير وقد وصفهم الله بأنهم كالانعام . قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (الأعراف : ١٧٩) . وقال تعالى : ﴿ أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴾ (الأعراف : ١٨٤) .

---

[١٠٢] عز الدين الخميسي،وبدر إسماعيل سمرين: نظرات في التربية الإسلامية، دراسات تربوية، ط١، دار النشر، عمان، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م، ص ٦٧.

هذا وإن من الإيمان بالله أيضا ينبع احترام العقل وحب العلم وتحري الحقيقة . فالله سبحانه اعطى الإنسان أكبر ميزة . . ألا وهي العقل . بالعقل يصبح الإنسان انسانا . وبتسلط العقل على الطبيعة استطاع الانسان أن يتعرف على العلوم الحديثة . . . إذن فلنحرر العقل ولنطلق عنان الفكر – في حدود التعاليم الاسلامية – لنعتمد على ذوي العقول الناضجة والخبرات الواسعة وذلك الى جانب نشاط الشباب وحيويتهم . أما الخرافية والتضليل . اما الادعاء الكاذب والمبالغة في الدعاوى : فهي من اخطر الأمراض التي منيت بها امتنا [١٠٣].

٢١ – لذا ينبغي أن تنص اهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعمل منهج القرآن الكريم على تنمية عقول تلاميذ هذه المرحلة . وأن يتضمن مقرر القرآن الكريم المقرر من القرآنية التي من شأنها تنمية عقولهم .

٢– الرقي الروحي : الرقي الروحي يستهدف تعميق إحساس الانسان بصلته بخالق الكون والإنسان والحياة كما يستهدف تعميق إدراكه لهذه الصلة والحد من تعلق الإنسان بمادية الكون وارتباطه بها . وتخليصه من سيطرة الأفكار المادية عليه . وقد شنع القرآن على الذين يقصرون هدفهم من الحياة الدنيا على الشئون المادية بقوله : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون ﴾ (الجاثية : ٢٤) ، وقال تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (النحل :٣٨) .

وإلى جانب ذلك فإننا نرى القرآن الكريم يثني على الذين يزكون صلتهم بالله . ويمدح هذا المنهج الذي يسيرون عليه . قال تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى ﴾ (الأعلى : ١٤–١٧) . وقال عنهم أيضا : ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (الذاريات ١٧–١٩) .

٢٢ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على الرقي الروحي للتلاميذ . وأن يتضمن المقرر من النصوص القرآنية ما من شأنه أن يحقق هذا الرقي .

٣– الرقي النفسي : الرقي النفسي يتمثل في طمأنينة الإنسان ورضاه عن كل ما هو حق من العقائد . وكل ما هو خير من الأعمال . والصبر على المكاره وأنواع الابتلاء . وضبط النفس عند مواجهة الشدائد . ورفض الصغار والمذلة . وإباء الضيم والبغي إذا نزل بساحته . قال تعالى يصف المؤمنين : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ (الشورى : ٣٩) ، ويتمثل الرقي النفسي أيضا في نفور الإنسان من كل شر وباطل . وارتفاعه عن كل السفاسف فإبراهيم عليه السلام كان راقي النفس . ولذلك اشمأز من قومه حين رآهم يعبدون الأوثان فقال لهم : ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ (الأنبياء :٦٧) ، ولقد صور القرآن الكريم النفس عند الابتلاء . ووازن بين نفس راقية ذات إرادة قوية تصبر أمام المحن والشدائد . ونفس ضعيفة مصابة باليأس وضعف الإرادة تستخذيها المواقف وحالات اليسر والرخاء : فقال تعالى : ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور . ولئن اذقناه نعماء بعد

[١٠٣] محمد فاضل الجمالي : نحو تربية مؤمنة ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، ص٩ (بتصرف) .

ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور .

إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ (هود : ٩-١١) .

٢٣ - لذا ينبغي أن تنص أهداف المرحلة - موضوع الدراسة - على ترقية نفوس تلاميذها ، وأن يتضمن المحتوى ما يتحقق به ذلك .

٤- الرقي الخلقي : والرقي الخلقي يرتفع بالانسان الى مرتبة الصالحين والوصول إلى مرتبة التمييز بين الخير والشر ، والتزام الخير والبعد عن الشرور والمساوئ والعدوان على الآخرين . والتخلص من الخسة ومن كل ما يشين النفس ويمتهنها . كل ذلك من ثمار الرقي الخلقي ولذا قال صلى الله عليه وسلم : " انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " [١٠٤] ، وقال صلى الله عليه وسلم : " . . . وخالق الناس بخلق حسن "[١٠٥] . وقال الله تعالى يمتدح نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (القلم : ٤) . وقال يصف عباد الرحمن ويمدحهم بأنهم اتسموا برقي خلقي واضح . ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ (الفرقان : ٦٣) .

٢٤ -لذا ينبغي أن تنص أهداف المرحلة - موضوع الدراسة - على ما يحمل على الرقي الخلقي لتلاميذها . وأن يتضمن المحتوى ما يتحقق به ذلك عندهم .

٥- الرقي العلمي : والرقي العلمي يتمثل في تحسين مقدرة الانسان على استخراج كوامن الطبيعة ، ودقائق العلوم والتنقيب عن كنوز الأرض ودفائنها وتسخير كل ذلك لمصلحة الانسان والإفادة من استعمال كل ما يحيط به من أشياء مادية استعمالا صحيحا وتحسينها بصورة مستمرة ، حتى تصبح أكثر ملاءمة لحياته ، وأكثر فاعلية في حل مشكلاته ، وتلبية حاجاته ؛ قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ (إبراهيم : ٣٢-٣٣) ، وقال تعالى : ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نِعَمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ﴾ (لقمان : ٢٠) .

٢٥ - لذا ينبغي ان تنص أهداف المرحلة - موضوع الدراسة - على الرقي العلمي لدى تلاميذها . وأن يتضمن المحتوى ما يتحقق به ذلك .

- الرقي الذوقي والجمالي :

بالرقي الذوقي والجمالي يصبح الإنسان أقدر على استشعار الجمال ، وأقدر على استشعار القيم الجمالية التي يضمها الكون وأقدرعلى تصوير الجمال وإبداع ما هو جميل . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ان الله - تعالى -

---

[١٠٤] جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير ، جـ١ ، ط١ ، ١٤١٠-١٩٩٠م ، بيروت ، ص ١٥٥ .

[١٠٥] جلال الدين السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير جـ١ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠ م ص ١٤ .

جميل يحب الجمال " [١٠٦] .

ولذلك فليس هناك قيود على من يقدم خدمة للمجتمع مادام يبتغي تقديم الخير في صورة من صوره الجميلة وفي إطار ذوقه الخاص المدفوع بتحري الجمال ولا يعيب الجمال ان تعجز بعض الامزجة او بعض العقول عن ادراك حقيقته أو استشعار أبعاده أو مظاهره فالأديب الأصيل مثلا يعبر عما في ضميره بأسلوب سهل لا تكلُّف فيه ولا تقصير . وإذا كان من العسير او المستحيل ان يُرضي الأديب او الفنان جميع الناس وجميع الاذواق وجميع العقول : فعليه أن يرضي إحساسه الأدبي أو الفني او الجمالي – فإن رضي الناس غاية لا تدرك – والقرآن الكريم اقوى وأبلغ معلم للذوق والأدب والفن . ويستشف ذلك من تعمق في تعابيره وأساليبه وصوره التي ساقها في معرض العبرة والمثل .

٢٦ – لذا ينبغي أن تنص الأهداف في المرحلة – موضوع الدراسة – على ضرورة الرقي الذوقي والجمالي لدى تلاميذ هذه المرحلة ، وأن يتضمن المحتوى ما ينمي الرقي الذوقي والجمالي عندهم .

٧– الرقي الجسمي : ويشير إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير " [١٠٧] .

والرقي الجسمي يستهدف تنمية الجسد ، وقوة الاعضاء ، لكي يصبح الفرد قادرا على أداء الوظيفة التي خلقه الله من أجلها في هذا الكون لعبادة الخالق . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (الذريات : ٥٦) ، ولكي يستطيع النهوض بأعباء التكاليف الحياتية المرتبطة به . وأداء دوره في العطاء والبناء . والسعي في طلب الرزق والمعيشة لسد حاجاته إلى الطعام واللباس والمأوى وحاجات من يعول . وحمل رسالة الإسلام والجهاد في سبيل الله والذود عن ديار الإسلام وتحمل المشقات . وضروب الابتلاء . قال تعالى : ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ (القصص : ٢٦) . وقال تعالى : ﴿ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ (البقرة : ٢٤٧) . (والمطلوب من التربية ان تنشئ أشخاصا اصحاء البنية اقوياء ، يعيشون عيشة صحية في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والرياضة . كما أنهم يتجنبون أخطار العدوى واخطار الكحول والدخان والمخدرات . . إلى غير ذلك مما حرم الله . وحفظ الصحة يتطلب معرفة الحقائق الصحية ، وغرس العادات الصحية ، وتكوين أوضاع نفسية وإرادة للحياة الصحية . كما يطلب من التربية أن تنشئ الفرد على النظافة الجسدية . والعمل على نظافة البيئة التي يعيش فيها ، وعلى الاعتدال والانتظام في الاكل والشرب والنوم . وعلى الاستمرار على الرياضة والعبادة في الهواء الطلق على قدر الإمكان)[١٠٨] . فقوة الجسم نعمة إلهية جديرة بالعناية والرعاية والشكر .

الرقي الاجتماعي : والرقي الاجتماعي يتمثل في قدرة الفرد على التكيف والاندماج مع الاخرين ، والعيش

---

[١٠٦] جلال الدين بن أبي بكر السيوطي : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، ج١ ، ط١ ، ١٩٩٠م ، بيروت ، ص١٠٧ .

[١٠٧] رواه مسلم مشكاة المصابيح ، رقم ٥١٠٨ .

[١٠٨] محمد فاضل الجمالي : نحو تربية مؤمنة ، مرجع سابق ، ص٥٨ ، بتصرف .

معهم ومخالطتهم ، والتفاعل معهم ، والاهتمام بشؤون أمته التي ينتمي إليها ، قال عليه الصلاة والسلام : " من أصبح وهمّه غير الله فليس من الله ، ومن أصبح لايهتم بالمسلمين فليس منهم "[١٠٩] . كما يتمثل في إحسان العلاقات مع الناس بعيدا عن الانطواء والانعزالية ، والانزواء عن المجتمع . قال عليه الصلاة والسلام : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لايخالط الناس ولايصبر على اذاهم "[١١٠] . كما يتمثل في مشاركة الآخرين في نشاطاتهم الاجتماعية ويبدي رأيه بجرأة وشجاعة دون خوف ، ولايتردد في إظهار الحق والدفاع عنه في البيت والمدرسة والجامعة والمنتدى والمصنع والمزرعة والمتجر ، وفي أي مكان حل به ، ويستطيع العيش في كل البيئات . ويتحمل المسئولية الواعية ، ويستطيع حل مشكلاته بنفسه دون اللجوء دائما الى مساعدة الآخرين له . والرقي الاجتماعي في صورته الحقيقية أن يكون الفرد فعالا معطاء ذا اثر إيجابي في الحياة والقرآن الكريم يقول : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) وقد نصت هذه الأخوة في الرقي الاجتماعي على أن يحب الانسان لأخيه في الإنسانية ما يحبه لنفسه من جلب الخير ، ودفع الشر ، ويقول كذلك في الرقي الاجتماعي : ﴿ يأيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم . ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . ولا تلمزوا أنفسكم . ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ولاتجسسوا . ولايغتب بعضكم بعضا . أيحب احدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله توّاب رحيم . يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير ﴾ (الحجرات : ١١-١٣) .

فالرقي الاجتماعي كما يفهم من الايات البينات لايتم الا بالاخوة الإيمانية . والا بالطهارة العقدية . والا بالمحافظة على الكرامة الإنسانية : عرضا ودما ومالا وشرفا وإنسانية . . . . هذا الرقي الذي جعل سلمان الفارسي من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا لهب – عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذي تخلى عن الايمان يُتعبّد بسببه ، ورسول الله يعاتب في الرجل الأعمى ، وأبا ذر يعاتب في تعيير عبده بسواد امه ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم يقول : " . . لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ، وعمرَ بن الخطاب يمشي وراء الجمل الذي يركبه خادمه ، وأبا بكر يأخذ بركاب الدابة التي يركبها اسامة بن زيد وهو يودعه للجهاد ويوصيه خيرا .

٢٧ – لذا ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الانسان يتطور ويرتقي في شتى الجوانب حول محور ثابت ، وضرورة أن يتضمن المحتوى ما يؤكد ذلك .

وهو إنسان موحد الاتجاه : والإنسان المسلم موحد الاتجاه ، فنشاطه كله حركة واحدة ، متجهة نحو تحقيق غاية الوجود الإنساني ، وهي العبادة ، التي تتمثل في عبودية لله في كل ما ينهض به من شؤون الخلافة . وهو مؤمن بأنه لايوجد نشاط إنساني لاينطبق عليه معنى العبادة . وان غاية المنهج التربوي هي اعداد الانسان لتحقيق معنى العبادة : قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

---

[١٠٩] جلال الدين السيوطي : مرجع سابق : ص٥١٥ .

[١١٠] المرجع السابق ، ص٥٤٩ .

فالعقيدة الصادقة أساس العبادة ﴿ فاعلم انه لااله إلا الله ﴾ (محمد : ١٩) . والكلمة تعبر عن العقيدة وتؤدى بها العبادة ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (ق : ١٨) . ﴿ قولوا امنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ والعمل عبادة ﴿ . . اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (فاطر : ١٥) . وكل سلوك الإنسان بينه وبين الله . وبينه وبين خلق الله من جماد وحيوان ونبات . وكل شئون الانسان صغيرها وكبيرها ، سرها وعلنها ، من حركة أو سكون ، من قول سر او جهر . . كل ذلك عبادة ﴿ وما تكون في شان ، وما تتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه . وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ (يونس : ٦١) .

وهو إنسان متوازن :

" وتوازن الإنسان المسلم مسحوب عليه من توازن منهج الله له . فهو يقيم بالميزان بين ما يتلقاه من الله فيدركه ويسلم به غيبا ، وبين ما يتلقاه فيدركه ويحاول معرفة كنهه وبراهينه وعلاماته العلمية ، وتطبيقاته الواقعية . وهو يوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة وبين مشيئته المحدودة على اعتبار أن وجوده ، وإرادته وعمله وحركته ونشاطه داخل في نطاق المشيئة الإلهية الطليقة المحيطة بهذا الوجود بما فيه ومن فيه "[111] . فهو يقرأ : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (الحديد : ٢٢) . وهو يقرأ : ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد : ١١) . ﴿ ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الأنفال : ٣) .

وهو يوازن بين عبوديته المطلقة لله ، ومقامه الكريم في الكون . فهو بعبوديته لله ، كريم على الله ، فيه نفخة من روح الله ، ومُعان من الله . ومسخر له كل ما في الكون . حتى إن الله سبحانه امر الملائكة — وهم عباده المقربون — أن يسجدوا له سجود التكريم .

وهذا هو ما جعل ابن تيمية يؤكد أنه : " كلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ، ازداد كماله وعلت درجته "[112] .

وهو إنسان متوازن في المصادر التي يعرف منها . فهو يعرف عن طريق النصوص الموحى بها ، على اعتبار ان الوحي هو المصدر الصادق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهو أيضا يعرف عن طريق النظر والتفكر والتدبر في كتاب الكون المفتوح ، وصفحات الحياة المتغيرة . فهو لا يلغي عقله ، ولا يهمل المؤثرات والمحسوسات والأحداث والخبرات في الحياة من حوله . فالكون هو كتاب الله المفتوح الذي ينصب المعرفة في الكينونة الإنسانية ، كما ينصبها الوحي ، مع فارق واحد : هو أن المعرفة التي يتلقاها الانسان بمداركه من هذا الكون ، قابلة للخطأ والصواب . . . أما ما يتلقاه من الوحي فهو الحق اليقين . فهو يقرأ في الاتجاه إلى المعرفة عن طريق الوحي قول الله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ﴾ (الاسراء : ٩) . ﴿ ثم

---

[111] علي أحمد مدكور : منهج التربية في التصور الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

[112] ابن تيمية : العبودية ، تأليف أحمد عبد الحليم الحراني ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٩٥٩ ، ص ٨٠ .

جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾ (الجاثية :١٨) . وهو ايضا يقرأ في الاتجاه إلى المعرفة عن طريق النظر والتأمل والتفكر والتدبر في كتاب الكون المفتوح قول الله تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض . . . ﴾ (يونس:١٠١) . وقوله سبحانه : ﴿ وكأين من اية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (يوسف :١٠٥) .

ففي الكون آيات تنظر وترى ، ويستدل بها على قدرة الله سبحانه وتعالى . وكذلك قوله : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون ﴾ (الذاريات : ٢٠-٢١) وقوله جل شأنه : ﴿ سنريهم اياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (فصلت : ٥٣) .

٢٨ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن للمعرفة في الإسلام مصدرين هما : الوحي ، والكون المنظور للتفكر والتدبر . وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

التوازن بين القيم وهو إنسان يوازن بين القيم فيعمل للدنيا بقدر ما كلف بها . ويعمل للآخرة بقدر ما يحقق سعادته فيها ، ولاينسى نصيبه منهما . ولايهمل إحداهما لحساب الأخرى . مهتديا في ذلك بقول المولى عز وجل : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا . وأحسن كما أحسن الله اليك . ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (القصص : ٧٧) . ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " ليس بخيركم من ترك دنياه لاخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتى يصيب منهما جميعا . فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولاتكونوا كلاّ على الناس " [١١٣] . وبقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما يرويه عنه أنس رضي الله عنه : " جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته . فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل ابدا . وقال اخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم ، وأتقاكم لله . لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني " [١١٤] . لذا فالإنسان يتجه بعمله الى الدنيا والآخرة " . فالتوجيه لأحد هذين الأمرين دون الآخر عمل مذموم مردود إلى نتائج سلوكية عكسية في حياة الفرد والجماعة . . . . فعلى التوجيه التربوي أن يأخذ هذا الهدف بعين الاعتبار حين التخطيط من أجل تنمية الطاقات الفكرية وتوجيهها بحيث توجه توجيها منتجا لمتطلبات الحياة الإنسانية " ولاتنس نصيبك من الدنيا " وبحيث توجه توجيها منتجا لمتطلبات النفس بتهيئة جيل يؤمن بالله ، ويشعر بالمتعة حين القيام بعبادته وطاعته .

فنظام التربية والتعليم هو الذي يقع على عاتقه عبء تهيئة جيل يساهم مساهمة فعالة في تحقيق وسائل الحياة . ورفع مستوى المعيشة ، ويكون ممتعا بالحصانة الروحية . والعمل على تحصيل قيمتها بطريقها المشروع .

---

[١١٣] جلال الدين أبي بكر السيوطي : مرجع سابق ، ص ٤٦٥ رقم ٧٥٩٤ .

[١١٤] صحيح البخاري ، ج ٧ ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح حديث رقم ١ .

وأي تنظيم تربوي يهتم بالقيم المادية . ويتجاهل القيم الروحية . او العكس يكون قد خط للجيل طريق الضعف ، وقذف به إلى حياة الفوضى . وسكب في نفسه جرعات ثقيلة من المخدرات ، وقتل فيها الشعور بالمسئولية ، وحجبها عن إدراك الحق " [١١٥] .

٢٩- لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الاساسي - موضوع الدراسة - على ان يعرف التلاميذ أن الإسلام لايرضى من بنيه بالعمل للدنيا وحدها . كما أنه لايرضى منهم بالعمل للاخرة وحدها وانما عليهم أن يعملوا للدنيا والاخرة معا . وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توكد لهم ذلك .

وهو إنسان إيجابي : إن الإيجابية الفاعلة هي إحدى خصائص التصور الإسلامي ، ومقوماته . فالله -سبحانه- إيجابي في علاقته بالكون كله ، وبكل ذرة ، وكل انبثاقه ، وكل حركة فيه ، اليه يرجع الامر كله ، وهو المباشر - سبحانه - بعلمه وارادته وتدبيره لكل عبد ، ولكل حي ، ولكل شيء في هذا الوجود كله .

وقد حفل القرآن بتقرير هذه الحقيقة في كثير من الآيات ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، ألا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) ، ﴿ الله يعلم ما تحمل كل انثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما أنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وماهم من دونه من وال ، هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴾ (الرعد : ٨-١٣) ، ولان الإنسان هو خليفة الله في الأرض لإعمارها وترقيتها ، فلا بد وأن يكون إيجابيا ايجابية فاعلة مسوية . ويرسم لنا المرحوم الأستاذ سيد قطب صورة الإنسان المسلم الإيجابي ، على نحو فريد . فيقول في كتابه القيم " خصائص التصور الإسلامي ومقوماته " :

" إن التصور الإسلامي ما يكاد يستقر في الضمير حتى يتحرك ليحقق مدلوله في صورة عملية ، وليترجم ذاته في حالة واقعية ، والمؤمن بهذا الدين ما يكاد الإيمان يستقر في ضميره حتى يحس انه قوة فاعلة مؤثرة ، فاعلة في ذات نفسه ، وفي الكون من حوله .

إن التصور الإسلامي ليس تصورا سلبيا يعيش في عالم الضمير ، قانعا بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية ! أو تصوفية روحانية ! إنما هو " تصميم " لواقع مطلوب إنشاؤه . وفق هذا التصميم . وطالما هذا الواقع لم يوجد ، فلا قيمة لذلك التصميم في ذاته ، إلا باعتباره حافزا لا بهذا لتحقيق ذاته .

هذا ما يثيره التصور الإسلامي في شعور المسلم ومن ثم يجد دائما هاتفا ملحا في أعماقه يهيب به إلى تحقيق هذا التصور في دنيا الواقع ، ويزرقه ، حتى يهب للعمل ، ويفرغ طاقاته الإيمانية كلها في هذا العمل الإيجابي البناء ، وفي

---

[١١٥] عز الدين التميمي ، وبدر إسماعيل : مرجع سابق ، ص٧٦-٧٧ .

إنشاء واقع تتمثل فيه هذه العقيدة في حياة الناس .

وحيثما ذكر الإيمان في القرآن ، وذكر المؤمنون . ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان . فليس الأمر مجرد مشاعر، إنما هو مشاعر تفرغ في حركة. لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامي للحياة"[١١٦] .

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (الحجرات : ١٥) ، ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدونني لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك ، فأولئك هم الفاسقون ﴾ (النور : ٥٥) . ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (آل عمران : ١١٠) . ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض . فالذين هاجروا . وأخرجوا من ديارهم . وأوذوا في سبيلي . وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم . ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ثوابا من عند الله . والله عنده حسن الثواب ﴾ (آل عمران : ١٩٥) .

فليس هنالك إيمان هو مجرد مشاعر في الوجدان أو تصورات في الذهن . لا ترجمة لها في واقع الحياة . وليس هناك إيمان هو مجرد شعائر تعبدية ، ليس معها عمل يكيف منهج الحياة كله ويخضعه لشريعة الله .

وفي طبيعة المنهج الإسلامي ذاته ما يحفز الإنسان على الحركة الإيجابية لتحقيق هذا المنهج أو التصميم في واقع الحياة . فالمسلم يعرف – من تصوره الإسلامي – أن الإنسان قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض ، وأنه ليس عاملا سلبيا في نظامها . فهو مخلوق ابتداء ليستخلف فيها . وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعية : لينشئ ويعمر ، وليغير ويطور ، وليصلح وينمي . وهو معان على هذه الخلافة : معان من الله – سبحانه – بجعل النواميس الكونية وطبيعة الكون الذي يعيش فيه معاونة له : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء . لكم منه شراب . ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات . إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار . والشمس والقمر . والنجوم مسخرات بأمره . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه . إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله . ولعلكم تشكرون. وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ (النحل: ١٠-١٦) .

وهو معان من الله كذلك بما وهبه من القوى . والاستعدادات الذاتية . والقدرات الإدراكية . وهو يكلفه أمر الخلافة : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا . وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل : ٧٨) .

وشعوره بأنه مكلف بالعمل . ومعان عليه . ينفي عنه الشعور بالسلبية في نظام هذا الكون . . . وانتفاء الشعور بالسلبية يهيئه للحركة والتأثير والفاعلية . غير أن الإسلام لا يكتفي بأن يدفع عن المسلم الشعور بالسلبية . بل يمده

---

[١١٦] سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ،الطبعة السابعة العاشرة . دار الشروق ،١٤٠٧ ، ١٩٨٧م ص١٥٧ .

بدوافع الحركة الإيجابية كذلك . إذ يعلمه أن قدر الله ينفذ فيه والارض من حوله ، عن طريق حركته هو ذاته ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد: ١١) . ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم . ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم ﴾ (التوبة ١٤-١٥) .

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ (البقرة: ٢٥١) ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (التوبة: ١٠٥) .

٣٠ – لذا ينبغي أن تؤكد أهداف مرحلة التعليم – مرحلة الدراسة – على أن يعرف التلاميذ ان الدين الإسلامي يطلب منهم إن يكونوا ايجابيين مع تعاليم الله ورسوله ، وضرورة ان توضح لهم النصوص القرآنية أهمية ذلك .

وهو إنسان واقعي : الإسلام نظام واقعي ، فهو " تصميم " وضعه الله للحياة البشرية . أي للتحقيق في عالم الواقع ، " فهو يتعامل – كما يقول الأستاذ سيد قطب [١١٧] – مع الحقائق الموضوعية ، ذات الوجود الحقيقي المؤكد والأثر الواقعي الإيجابي لا مع تصورات عقلية مجردة ، ولا مع " مثاليات " لا مقابل لها في عالم الواقع أو لا وجود لها في عالم الواقع .

إنه تصميم يتعامل مع الحقيقة الإلهية ، متمثله في آثارها الإيجابية وفاعليتها الواقعية ، ويتعامل مع الحقيقة الكونية متمثلة في مشاهدها المحسوسة المؤثرة والمتأثرة ، ويتعامل مع الحقيقة الانسانية ، متمثلة في الإنسان كما هو في عالم الواقع ، ولما كان الإنسان – دون خلق الله جميعا – هو المكلف بانشاء هذا " التصميم " وتحقيق هذا " النظام " في واقع الحياة على الأرض ، كان لابد وأن يكون هو نفسه واقعيا ، لاقصف دورد في هذا المنهج عند حفظه ذهنيا ومعرفته نظريا بل يقوم على تحقيقه عمليا والاحتكام إليه في كل جوانب الحياة .

والمنهج الإسلامي للحياة – على كل رفعته ونظافته وربانيته ومثاليته – هو في الوقت نفسه منهج لهذا الإنسان في حدود طاقاته الواقعية ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (البقرة: ١٨٦) . ﴿ اتقوا الله ما استطعتم ﴾ (التغابن: ١٦) ، وهو منهج يأخذ في اعتباره فطرة الإنسان ، وطاقاته واستعداداته وفضائله ورذائله ، وقوته وضعفه ، فهو لايستقذر دوافع فطرته ، ولامقتضيات تكوينه ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ﴾ (آل عمران: ١٤) . لكن منهج الله لايترك الانسان لنوازع الشر فيه . بل يهديه ويرشده ويرده إلى الطريق المستقيم عن طريق العبادة في كل ما ينهض به من شئون الخلافة .

فالإسلام في واقعيته يعرف – كما يقول الأستاذ محمد قطب – أن مزية الانسان الكبرى هي الاستعداد الدائم لأن يتفوق على نفسه ، ويرتفع على " الواقع " ليبلغ " المثال " ، وقد لا يبلغه في كل مرة ، بل قد لا يبلغه أبدا ، ولكنه يظل يحاول ، وما دام يوجه إلى الطريق القويم ، فانه في محاولته تلك يظل يرتقي ويرتفع .

---

[١١٧] انظر : سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص١٦٣ .

وتمر عليه لحظات معجزة ، يحقق فيها انتصارات رائعة على نفسه وعلى كل قوى الأرض من حوله ، وذلك حين يرتفع إيمانه بالطاقات التي وهبها الله له ، فيحاول أن يحقق ذاته كاملة كما أرادها الله له . . . وهذه اللحظات في حياة الإنسان هي " الواقع " وهي في نفس الوقت " المثال "[١١٨] .

هذه هي أبرز سمات الإنسان المسلم ، الذي هو الهدف الأسمى لمنهج التربية الإسلامية .

٣١ – لذا ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ أن مزية الإنسان الكبرى هي الاستعداد الدائم للصعود والسمو إلى ما هو أعظم ، وضرورة أن تؤكد لهم النصوص القرآنية هذا المضمون .

معايير الفصل السادس

وهي معايير تدور حول النصوص التي توضح علاقة الإنسان بالألوهية والكون والحياة :

١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها حقيقة الإنسان ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك .

٢ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها مركز الإنسان في الكون ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك .

٣ – ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ وظيفة الإنسان في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك للتلاميذ .

٤ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها غاية الإنسان في الحياة ، وأن يتضمن المحتوى توضيح ذلك .

٥ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها معنى الفطرة الإنسانية في التصور الإسلامي ، وأن يقدم المحتوى النصوص الموضحة لذلك .

٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها المقصود بالطبيعة الإنسانية في التصور الإسلامي ، وأن يقدم المحتوى فهم النصوص الموضحة لذلك .

٧ – ينبغي أن تنص أهداف منهج مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ مكونات الإنسان في التصور الإسلامي ، وأن يتضمن المحتوى ما يفهم منه التلاميذ ذلك .

٨ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الله هو الذي خلقهم وهو خالق كل شئ ، وأن تقدم لهم النصوص القرآنية التي توضح لهم أطوار خلقه سبحانه وتعالى للبشر .

٩ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ مكونات النفس

---

[١١٨] محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

البشرية في التصور الإسلامي ، وضرورة ان يقدم لهم مقرر القرآن الكريم ما يوضح لهم ذلك .

١٠ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على ان العملية التربوية في التصور الإسلامي يجب أن تسير على هدي من علم النفس الإسلامي ، وان يزودهم المحتوى بذلك .

١١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي في جمهورية مصر العربية على أن يعرف التلاميذ أن الله الذي خلقهم قد فطرهم على الإيمان بالله وحده واخذ عليهم العهد بذلك . وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم هذا المضمون .

١٢ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على ان يعرف التلاميذ أن التربية في التصور الإسلامي تشمل كل متطلبات الروح والجسد ، وان يتأكد للتلاميذ هذا المعنى من خلال مقرر القرآن الكريم عليهم .

١٣ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الاساسي على ان يعرف التلاميذ كيفية الاستفادة من الاستعداد الخير المركوز في فطرتهم ، والابتعاد عن الشر . وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

١٤ –ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الأساسي بجمهورية مصر العربية على ان يعرف التلاميذ ان تبعة أعمالهم تقع عليهم وحدهم ، وأن يوضح ذلك لهم من خلال النصوص القرآنية التي تقرر عليهم وتؤكد لديهم هذا المفهوم .

١٥ – ينبغي أن تنص أهداف المرحلة – موضوع الدراسة– على أن يعرف التلاميذ ان أمراض القلوب والنفوس انما تعالج باتباع هدى الله ورسوله ، وضرورة أن يقدم إليهم المحتوى النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

١٦ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ ان الاسلام يعمل على ضبط الدوافع لا كبتها ، وتوضيح ذلك بالنصوص القرآنية التي يقدمها المحتوى للتلاميذ .

١٧ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة– على أن يراعي مقرر القرآن الكريم خصائص نمو التلاميذ المذكورة ، وان تجيء النصوص المقررة في كل صف مناسبة لنضج تلاميذ هذا الصف وفهمهم .

١٨ – ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الدين الإسلامي يعمل على توجيه نموهم بحيث يتفق مع أحكام الإسلام وقيمه وأخلاقه ، وضرورة أن يتضمن المحتوى ما يؤكد لهم ذلك .

١٩ – ينبغي أن تنص الأهداف على أن يستفاد من النمو السريع لدى تلاميذ المرحلة – موضوع الدراسة – في تلاوة وفهم وحفظ القرآن الكريم ، وضرورة أن يحقق ذلك في المحتوى المقرر في هذه المجالات .

٢٠ – ينبغي أن تؤكد الأهداف في مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف التلاميذ أن الإنسان حر مسئول ، وذلك من خلال النصوص القرآنية التي تقدم إليهم لتؤكد فيهم هذا المعنى .

٢١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على ان يعمل مقرر القرآن الكريم على تنمية عقول تلاميذ هذه المرحلة ، وأن يتضمن مقرر القرآن الكريم النصوص القرآنية التي من شانها تنمية عقولهم .

٢٢ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على الرقي الروحي للتلاميذ ، وان يتضمن المقرر من النصوص القرآنية ما من شأنه ان يحقق هذا الرقي .

٢٣ – ينبغي أن تنص أهاف المرحلة – موضوع الدراسة – على ترقية نفوس تلاميذها . وان يتضمن المحتوى ما يتحقق به ذلك .

٢٤ – ينبغي أن تنص أهداف المرحلة –موضوع الدراسة– ما يعمل على الرقي الخلقي لتلاميذها . وأن يتضمن المحتوى ما يتحقق به ذلك عندهم .

٢٥ – ينبغي أن تنص أهداف المرحلة – موضوع الدراسة – على الرقي العلمي لدى تلاميذها . وان يتضمن المحتوى ما يتحقق به ذلك .

٢٦ – ينبغي أن تنص الأهداف في المرحلة – موضوع الدراسة – على ضرورة الرقي الذوقي والجمالي لدي تلاميذ هذه المرحلة ، وأن يتضمن المحتوى ما ينمي الرقي الذوقي والجمالي عندهم .

٢٧ – ينبغي أن تنص الأهداف على أن يعرف التلاميذ أن الانسان يتطور ويرتقي في شتى الجوانب حول محور ثابت ، وضرورة أن يتضمن المحتوى ما يؤكد ذلك .

٢٨ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على أن يعرف تلاميذها أن للمعرفة في الإسلام مصدرين هما : الوحي ، والكون المنظور للتفكر والتدبر ، وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي توضح لهم ذلك .

٢٩– ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم الاساسي – موضوع الدراسة – على ان يعرف التلاميذ ان الإسلام لايرضى من بنيه بالعمل للدنيا وحدها ، كما انه لايرضى منهم بالعمل للآخرة وحدها وانما عليهم ان يعملوا للدنيا والآخرة معا ، وضرورة تقديم النصوص القرآنية التي تؤكد لهم ذلك .

٣٠ – ينبغي أن تؤكد أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على ان يعرف التلاميذ ان الدين الإسلامي يطلب منهم أن يكونوا إيجابيين مع تعاليم الله ورسوله ، وضرورة ان توضح لهم النصوص القرآنية الاسية ذلك .

٣١ – ينبغي أن تنص أهداف مرحلة التعليم – موضوع الدراسة – على ان يعرف التلاميذ أن مربة الإنسان الكبرى هي الاستعداد الدائم للصعود والسمو إلى ما هو أعظم . وضرورة ان تؤكد لهم النصوص القرآنية هذا المضمون.

خاتمة

تعرض هذا الفصل لحقيقة الإنسان في التصور الإسلامي ، فتحدث عن الطبيعة الإنسانية . والفطرة الإنسانية ومكونات الإنسان . ومكونات النفس ، كما تحدث عن الدين والفطرة . وموقف التربية الإسلامية من هذه الفطرة وعن استخلاف الإنسان في الأرض . وعن مبادئ التربية الإسلامية المتعلقة باستخلافة .

ثم تحدث عن علم النفس الإسلامي وعلم النفس الغربي . وعن الخير والشر في الطبيعة الإنسانية .

ثم تحدث عن أصول التصور الإسلامي للطبيعة الإنسانية ، وتوصل الى حقائق ثابتة .

كما تحدث عن دوافع السلوك ونظرية الغرائز . والمدرسة السلوكية . ثم مدرسة الإسلام . وضبط الدوافع لاكتبها . والحاجات الإنسانية للتلميذ : الحاجات العضوية والحاجات الوجدانية .

ثم تحدث عن النمو والتعليم ، ومراحل النمو ، وأهم خصائصه . والعلاقة بين النمو والتعليم ، والنمو وتعلم القرآن بصفة خاصة . وما ورد في تعليم الاطفال القرآن ، وكيف يؤثر القرآن في نفس الطفل ونماذج للدلك التأثر . ونماذج من حفظة القرآن من الأطفال ، وطفولة عجيبة في حفظ القرآن .

ثم تحدث عن خصائص الإنسان المسلم : من أنه عبد ربانى ، حر ، يتطور ويرتقي حول محور ثابت وأن رقيه يشمل العقل والروح ، والخلق ، والعلم ، والذوق والجمال ، والجسم ، كما يشمل الرقي الاجتماعي ، كما اوضح أن الانسان المسلم موحد الاتجاه ، وهو إنسان متوازن ، وهو انسان إيجابي ، وهو إنسان واقعي . واشتقت معايير هذا الفصل من إيحاء فقراته ودلالاتها كنتائج لها ومستخلصات منها ، ذيلت كل فقرة فيه بمعيار يناسبها ، ثم جمعت هذه المعايير بترتيبها آخر الفصل .

الإطار العملي للبحث

obeikandl.com